الدكتور محمد عمارة

من يحمي المسيحيين العرب..

الإسلام... أم الفاتيكان ؟؟

مكتبة وهبة

الدكتور محمد عمارة

من يحمي المسيحيين العرب.. الإسلام... أم الفاتيكان ؟؟

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية عابدين القاهرة
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

ميثاق العَيْش المشترك

-١-

من القرآن الكريم

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤).

-٢-

من السُّنة النبوية

فى عام الوفود [سنة ١٠هـ سنة ٦٣١م] جاء إلى المدينة المنورة - عاصمة دولة النبوة - وفد نصارى نجران - باليمن - . . فاستقبلهم الرسول ﷺ وصحابته . .

وفتح لهم الرسول أبواب مسجد النبوة ، فصلوا فيه صلاة عيد الفصح . .

وكتب لهم عهداً دستوريًا ، لهم ولكل من يتدين بدين النصرانية - عبر الزمان والمكان - جاء فيه :

«لنجران وحاشيتها ، ولأهل ملّتها ، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية فى شرق الأرض وغربها ، قريبها وبعيدها ، فصيحها وأعجمها ، جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله ، على أموالهم ، وأنفسهم ، وملتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبيَعهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير .

- لا يُغَيَّر أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته .
- وأن أحرس دينهم وملّتهم أين كانوا . بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملّتى . .
- ولا يُحمّلون من النكاح - [الزواج] - شططا لا يريدونه ، ولا يُكْرَهُ أهل البنت على تزويج المسلمين ، ولا يُضارّوا فى ذلك إن منعو خاطباً وأبَوْ تزويجاً ، لأن ذلك لا يكون إلا بطيبة قلوبهم ، ومسامحة أهوائهم ، إن أحبوه ورضوا به .
- وإذا صارت النصرانية عند المسلم - [زوجة] - فعليه أن يرضى بنصرانيتها ، ويتبع هواها فى الاقتداء برؤسائها ، والأخذ بمعالم دينها ، ولا يمنعها ذلك . فمن خالف ذلك وأكرهها على شىء من أمر دينها فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله ، وهو عند الله من الكاذبين .
- ولهم - [أى النصارى] - إن احتاجوا فى مَرَمَّة بِيَعهم وصوامعهم أو أى شىء من مصالح أمورهم ودينهم إلى

رِفْد - [مساعدة] - من المسلمين وتقوية لهم على مَرَمَّتِها ، أَن يُرْفدوا على ذلك ويُعَاوَنوا ، ولا يكون ذلك دَيْناً عليهم ، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم ، ووفاء بعهد رسول الله ، وموهبة لهم ، ومِنَّة لله ورسوله عليهم .

- . . لأنى أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وعلى المسلمين ما عليهم ، بالعهد الذى استوجبوا حق الزمام ، والذَّبَّ عن الحُرمة ، واستوجبوا أن يُذَبَّ عنهم كل مكروه ، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم .
- واشترط عليهم أموراً يجب عليهم فى دينهم التمسك بها والوفاء بما عاهدهم عليه ، منها :

ألا يكون أحد منهم عَيْناً ولا رقيباً لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين فى سِرِّه وعلانيته .

ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا فى شيء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة .

ولا يرفدوا - [يساعدوا] - أحداً من أهل الحرب على المسلمين ، بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم ، ولا يصانعوهم .

وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم ، وعند منازلهم ، ومواطن عباداتهم ، أن يؤووهم ويرفدوهم ويواسوهم فيما يعيشون به ما كانوا مجتمعين ، وأن يكتموا عليهم ، ولا يظهروا العدو على عوراتهم .

ولا يخلوا شيئاً من الواجب عليهم . .

- ولا يدخل شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد ، ولا منازل المسلمين . .

- ولا خراج ولا جزية إلا [على] من يكون في يده ميراث من ميراث الأرض ، ممن يجب عليه فيه للسلطان حق ، فيؤدي ذلك على ما يؤديه مثله ، ولا يُجار عليه ، ولا يُحَمَّل منه إلا قدر طاقته وقوّته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها ، ولا يُكلَّف شططا ، ولا يُتَجَاوَزُ به حد أصحاب الخراج من نظرائه .

- ولا يُكَلَّف أحد من أهل الذمة منهم الخروج مع المسلمين إلى عدوهم ، لملاقاة الحروب ومكاشفة الأقران ، فإنه ليس على أهل الذمة مباشرة القتال ، وإنما أعطوا الذمة على أن لا يُكلفوا ذلك ، وأن يكون المسلمون ذُبّاباً عنهم ، وجواراً من دونهم .

- ولا يُكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى الحرب الذى يلقون فيه عدوهم ، بقوة وسلاح أو خيل ، إلا أن يتبرعوا من تلقاء أنفسهم ، فيكون من فعل ذلك منهم وتبرع به ، حُمِدَ عليه وعُرف له ، وكوفئ به .
- ولا يُجبَرُ أحد ممن كان على ملة النصرانية كُرهاً على الإسلام ، ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن .
- ويُخفض لهم جناح الرحمة ، ويُكَفَّ عنهم أذى المكروه حيث كانوا ، وأين كانوا من البلاد . .
- فمن نكث شيئاً من هذه الشروط وتعداها إلى غيرها فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله . .
- ولا يُنقض ذلك ولا يُغيَّر حتى تقوم الساعة إن شاء الله ..»[1] .

(١) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] ص ١١٢، ١٢٣ - ١٢٧ . تحقيق : الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادى . طبعة القاهرة ١٣٧٦ هـ سنة ١٩٥٦م .

تمهيد

فى الحوار مع الفاتيكان حول «ورقة العمل» التى صاغها لتناقش فى «مجموع سينيودس» الأساقفة الكاثوليك الشرقيين ، فى حاضرة الفاتيكان ـ ١٠ - ٢٤ أكتوبر سنة ٢٠١٠ م ـ . .

للحوار مع الفاتيكان حول موقفه من القضايا التى عرضت لها هذه «الوثيقة» يحسن أن نذكّر أنفسنا ونذكّر الفاتيكان ، ونذكّر القراء بالموقف الفاتيكانى من الإسلام وحضارته ـ ليس فى التاريخ القديم ، الذى يعرفه الكافة ، والذى قادت فيه الكنيسة الكاثوليكية الغربية حربا صليبية ضد الإسلام وأمته وحضارته دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م] ، أبادت فيها مئات الألوف من المسلمين ـ بل والمسيحيين الشرقيين! ـ وأقامت فى الشرق الإسلامى «ممالك» و«كونتيات» مثلت نماذج لواحدة من أبشع وأشهر ألوان الاستعمار الاستيطانى فى التاريخ! .

لا نريد العودة للتذكير بهذه الصفحة السوداء والبائسة من ذلك التاريخ القديم ـ والتى لم يعتذر عنها الفاتيكان حتى هذه اللحظات : ـ . . وإنما نريد ـ فى هذا التمهيد ـ الإشارة ـ مجرد الإشارة ـ إلى مواقف الفاتيكان من الإسلام وأمته وحضارته فى الصفحة المعاصرة من تاريخنا الحديث .

● فعقب انتخاب البابا السابق « يوحنا بولس الثانى » [١٩٢١ -٢٠٠٥م] أطل على رعيته ، من شرفة القديس بطرس - فى ١٩٧٨/١٠/١٦ - وأعلن :

« أن المسيح هو الحل».. وأنه لابد من « تنصير الثقافة » .. وأن المعركة هى « من أجل الاستيلاء على عقول البشر »[١].

ومنذ ذلك التاريخ ، تصاعدت جهود الفاتيكان - مع الكنائس الغربية الأخرى - لتنصير المسلمين . . ورفع الفاتيكان شعار : « **إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م** »، فلما لم يتم تحقيق هذا « الهدف » فى موعده، رحّل الفاتيكان « التاريخ » إلى سنة ٢٠٢٥م!..

● وفى ظل احتلال إسرائيل لكل الأرض المقدسة - فلسطين - وتصاعد وتيرة التهويد للقدس الشريف ، وابتلاع المستوطنات الصهيونية للأرض العربية . . تزايدت وتيرة المودة والتقارب بين الفاتيكان وبين اليهودية واليهود وإسرائيل . . فتصاعد الحديث الفاتيكانى عن « **زرع المسيح فى إسرائيل** » . . وعن « **اعتباره يهوديًا** »!! . . . حتى أن البابا الحالى - بنديكتس السادس عشر - قبل بابويته - وعندما كان اسمه الكاردينال « راتزنجر » - وكان الرجل القوى فى الفاتيكان - عندما ألف

---

(١) ستونر سوندرز [الحرب الباردة الثقافية] ص ٢٤. ترجمة : طلعت الشايب . طبعة المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة سنة ٢٠٠٢ م .

كتاباً عن السيدة مريم العذراء - عليها السلام - جعل عنوان الكتاب : [ابنة صهيون] ! . . [1].

- وفى ٢٠/٤/١٩٨٤م - وبمناسبة «سنة الفداء» - تجاهل الفاتيكان عروبة مدينة القدس ، التى بناها «اليبوسيون» العرب فى الألف الرابعة قبل الميلاد - أى قبل ظهور اليهودية على يد موسى - عليه السلام - فى القرن الثالث عشر ق . م بسبعة وعشرين قرناً - تجاهل الفاتيكان عروبة المدينة المقدسة ، المحتلة ، وأعلن - بمناسبة «سنة الفداء» - وفى أعقاب ضم الاحتلال الصهيونى المدينة لتكون عاصمة أبدية لإسرائيل - أعلن الفاتيكان - فى هذه المناسبات - أن القدس هى شعار الوطن اليهودى . . وقال :

«منذ عهد داود ، الذى جعل أورشليم عاصمة لمملكته ، ومن بعده ابنه سليمان ، الذى أقام الهيكل ، ظلت أورشليم موضع الحب العميق فى وجدان اليهود ، الذين لم ينسوا ذكرها على مر الأيام ، وظلت قلوبهم عالقة بها كل يوم ، وهم يرون المدينة شعاراً لوطنهم»! .

---

(١) الدكتور عطاء الله مهاجرانى . مقال «البابا وحديثه من العصمة إلى التبسيط الساذج» - صحيفة «الشرق الأوسط» لندن - فى ٢٦/٩/٢٠٠٦م .

وتجاهل الفاتيكان أن القدس عربية من « الألف الرابع ق . م » - أى قبل داود وسليمان - عليهما السلام - اللذين عاشا فى القرن العاشر ق . م - بثلاثة آلاف عام! . .

- وفى سنة ١٩٨٦م كان البابا يوحنا بولس الثانى أول بابا كاثوليكي يزور كنيسا يهوديا - كنيس روما القديم - ! .
- وعندما أقام الفاتيكان العلاقات الدبلوماسية مع الدولة الصهيونية سنة ١٩٩٣م ، وعقد معها معاهدة - فى ١٩٩٣/١٢/٣١م - تحدثت مقدمة هذه المعاهدة عن :

« العلاقات الفريدة بين الكاثوليكية والشعب اليهودى »!

فهذه المعاهدة . . وهذه العلاقات الفريدة ليست - فقط - بين « دولة الفاتيكان » و« دولة إسرائيل » . . وإنما هى - أيضاً - بين « الكاثوليكية » وبين « الشعب اليهودى » . . أى أنها ملزمة لكل الكاثوليك على امتداد الأوطان والقوميات ، بمن فيهم الكاثوليك فى الشرق الإسلامى!

- وفى مارس سنة ٢٠٠٠م زار البابا يوحنا بولس الثانى إسرائيل . . وقدم اعتذاراً وندماً - غير مسبوقين من الحبر الأعظم المعصوم ! - لليهود عما ارتكبته الكنيسة الكاثوليكية - والكاثوليك - فى حقهم - بسبب المعاداة المسيحية للسامية! - . وكتب بذلك الاعتذار والندم « مذكرة » بابوية وضعها فى شق

الحائط الغربي بالقدس - [الذى يسميه اليهود حائط المبكى] - . وطلب - فى هذه « المذكرة » - الصفح عن الكنيسة الكاثوليكية والكاثوليك للخطايا التى ارتكبوها فى حق اليهود ! . .

- وعندما زار البابا - فى ذات الرحلة - دمشق ، ودخل المسجد الأموى ، لزيارة قبر النبى يحيى - عليه السلام - يوحنا المعمدان - بصحبة الرئيس السورى بشار الأسد - أشار البعض على البابا بزيارة قبر صلاح الدين الأيوبى [٥٣٢-٥٨٩هـ ١١٣٧-١١٩٣م] - وهو بمدخل المسجد الأموى - فرفض البابا زيارة قبر صلاح الدين ، كى لا تكون هذه الزيارة إشارة للاعتذار عن الحروب الصليبية التى دامت قرنين من الزمان! -
- وفى سنة ٢٠٠٤م استقبل البابا كبار حاخامات اليهود - فى الفاتيكان - وقال - فى حضرة كبير الحاخامات لليهود الغربيين فى إسرائيل « مائيرلاو » : -

« إننى حيثما ذهبت أقول دائماً : إن علينا - بنى البشر - أن نهتم ونرعى أجيال المستقبل من إخوتنا الكبار - اليهود - »! - ولقد تكلم فى هذا الموقف باسم « بنى البشر » أجمعين!! . .

- وفى سنة ٢٠٠٠م صاغ رجل الفاتيكان القوى - الكاردينال « راتزنجر » وثيقة « المسيح المهيمن » - التى أعلنها البابا يوحنا بولس الثانى - والتى تقول :

« إن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية هى الكنيسة الوحيدة الحقيقية ليسوع المسيح . . وأن الخلاص هو للكاثوليك دون سواهم »! .

- وفى سنة ٢٠٠٤م أعرب الكاردينال « راتزنجر » - قبل توليه البابوية - عن مناهضته انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربى ، لأنها دولة مسلمة! » .

- وعندما توفى البابا يوحنا بولس الثانى ، وأصبح الكاردينال « راتزنجر » هو البابا بنديكتوس السادس عشر - فى إبريل سنة ٢٠٠٥م - كشفت مجلة « نيوزويك » - الأمريكية - عن أولى أولويات هذا البابا الجديد - وهى « مواجهة الإسلام » - الذى يمثل - بنظر الغرب - خطراً أكبر من خطر الشيوعية - وقالت - تحت عنوان [بابا يواجه الإسلام] - :

« لأن الإرهاب العالمى - [الإسلام] - يجعل مشكلات شيوعية الكتلة الشرقية - [التى حاربها البابا السابق] - بحداثة التليفزيون الأبيض والأسودا . فإن ظهور الإسلام كقوة - فى شكليه الأصولى والمعاصر - يتطلب حَبْراً أعظم يتمتع بمعرفة لاهوتية ودبلوماسية رفيعة . . وإن على البابا الجديد أن يتعامل مع التحدى الإسلامى فى قلب أوربا ، حيث يشكل

المهاجرون المسلمون ونسلهم الآن قوة اجتماعية ودينية جديدة لم يكن على الكنيسة أن تواجهها من قبل»[1].

● ولقد افتتح هذا البابا الجديد ـ بنديكتوس السادس عشر ـ ولايته المقدسة بـ :

١ - إلغاء لجنة «حوار الأديان» .. ومعها «حوار الثقافات» .

٢ - وإلغاء صدور مجلة «إسلاموكريستيانا»! .

● وعند استقباله ممثلين مسلمين ـ فى مدينة «كولونيا» الألمانية ـ قال لهم :

«إن على المسلمين نزع ما فى قلوبهم من حقد، ومواجهة كل مظاهر التعصب، وما يمكن أن يصدر عنهم من عنف»!

● وفى سبتمبر من نفس العام ـ سنة ٢٠٠٥م ـ استقبل البابا الصحفية الإيطالية «أوريانا فالاشى» ، التى اشتهرت بكتاباتها العنصرية العنيفة والحاقدة ضد الإسلام والمسلمين! .

● وفى نفس العام ـ سنة ٢٠٠٥م ـ نشر البابا ـ بالاشتراك مع الكاتب الإيطالى «بيرا» ـ فى نيويورك ـ كتابا عنوانه : [بلا جذور : الغرب . النسبية .. الإسلام والمسيحية] أعلن فيه عن مخاوفه .. وأهمها ثلاثة مخاوف :

---

(١) «نيوزويك» عدد ٢٠٠٥/٤/٩م

«**أولها** : تحول مسيحية غالبية الأوربيين إلى مجرد انتماء لأسر كانت مسيحية في يوم من الأيام .

وثانيها : تراجع معدلات المواليد في أوربا المسيحية . . وأن عدة شعوب - خصوصاً الألمان والإيطاليين والإسبان - ربما لا تعد موجودة قبل نهاية القرن الحالي . . أو تصبح أقليات داخل دولها . .

وثالثها : أن الذين سيحلون محل هذه الشعوب المسيحية الأوربية المنقرضة ، هم المهاجرون المسلمون من إفريقيا والعالم العربي . - الأمر الذي يبعث على القلق من **احتمال أن تصبح أوربا جزءاً من دار الإسلام في القرن الواحد والعشرين**»!

- وفي ٢٠٠٦/٤/١٨م نشرت صحيفة «لوموند» - الفرنسية - مقالا للكاتب «هنري تنك» ، تحدث فيه عن «**انشغال الفاتيكان بصعود الإسلام**» . . وجاء - في المقال - على لسان البابا بنديكتوس السادس عشر - :

«**إن الإسلام ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية ، ولا ينتمي إلى الوحي نفسه الذي تنتمي إليه اليهودية والمسيحية**»!.

- وكان هذا الموقف الفاتيكاني - الذي إن اعترف «بالمسلمين» . . فإنه يرفض الاعتراف «بالإسلام» - مع أن الإسلام يعترف بالمسيحية - على عكس اليهودية - التي لا تعترف بالمسيحية ، ومع ذلك تعترف المسيحية بها . . وتتودد إليها ! . . .

كان هذا الموقف الفاتيكانى من الإسلام امتداداً لموقف قديم ، يتم الإفصاح عنه فى المناسبات .

ـ ففى مؤتمر « الحوار الإسلامى المسيحى » الذى عقد فى « فندق شيراتون هليوبوليس » ـ بالقاهرة ـ فى ٢٨ ، ٢٩ أكتوبر سنة ٢٠٠١م ، رفض ممثل الفاتيكان « القس خالد أكشة » وممثل مجلس الكنائس العالمى ـ الدكتور طارق مترى ـ التوقيع على البيان الختامى للمؤتمر ، لأن فيه عبارة : « الديانات السماوية والقيم الربانية » .. وقالا : « نحن لا نعترف بالإسلام ديناً سماوياً ، ولا بالقيم الإسلامية قيما ربانية »!..

ـ ولقد تكرر هذا الإعلان الفاتيكانى ـ صراحة ـ على لسان القس الكاثوليكى « كريستيان فانسين » ـ الذى يعيش بمصر ـ فى الحوار المسجل والمذاع ـ على الهواء ـ بإذاعة الـ B . B . C ـ من مكتبها بالقاهرة ـ فى برنامج « حديث الساعة » ـ يوم الأحد ٢٠٠٦/٩/١٧م ـ عندما قال هذا القس بالنص : « نحن لا نعترف بأن الإسلام دين سماوى »!..

● ولقد تصاعد تهجم البابا بنديكتوس السادس عشر على الإسلام ورسوله ﷺ وقرآنه ، فى محاضرته الشهيرة بجامعة « ريجنسبورج » ـ الألمانية ـ فى ١٢ سبتمبر سنة ٢٠٠٦م ـ وهى المحاضرة التى فجرت ردود فعل عالمية ـ والتى بدأها

بالهجوم على الإسلام.. بل واستغرق هذا الهجوم على الإسلام ربع المحاضرة، رغم أن موضوعها وعنوانها لم يكن عن الإسلام !!...

وفي هذه المحاضرة ردد البابا مقولات« ثقافة الكراهية السوداء الصليبية» التي تقول عن رسول الله ﷺ:

«إنه لم يأت بجديد، سوى الأشياء الشريرة، وغير الإنسانية، مثل أمره بنشر العقيدة التي دعا إليها بحد السيف»!.

وادعائه أن القرآن قد نسخ آية ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة:٢٥٦) «بتعليمات أواسر اللئام، بشأن الحرب المقدسة، التي ذكرت لاحقا ودونت في القرآن»!..

مع أن آية ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ محكمة.. جاءت في سورة البقرة، المدنية.. ومن أواخر السور التي نزلت من القرآن..

كذلك اتهم البابا ـ في هذه المحاضرة ـ الإيمان الإسلامي باللاعقلانية!.. وقال إن التعبد في الإسلام إنما يتم بشكل وثني أعمى!..

● ورغم ردود الفعل الغاضبة، التي قوبلت بها هذه المحاضرة البابوية المستفزة للمسلمين، والمفترية على الإسلام ـ في الشرق والغرب ـ حتى لقد وصفتها «نيوزويك» ـ الأمريكية ـ «بالحماقة»!..

رغم ذلك، استمر البابا في تحدي الإسلام واستفزاز المسلمين..

- ففي مارس سنة ٢٠٠٨م، قام البابا - في احتفالات عيد الفصح. الذي تنقله كل محطات التلفاز العالمية - بتعميد صحفي مصري - يعيش في إيطاليا - اسمه مجدي علام - لم يعرف عنه سابقة تدين بالإسلام.. لأنه نشأ في وسط كاثوليكي - كانت أمه تعمل خادمة فيه - وتعلم بالمدارس الكاثوليكية، حتى أنه يجيد الإيطالية أكثر من أهلها! .. فكان تعميده بواسطة الحبر الأعظم - عظيم الفاتيكان - وفي هذا العيد، الذي يشاهده العالم - استفزازاً كبيراً ومتعمداً من البابا لمشاعر مليار وستمائة مليون من المسلمين..
- وفي صيف سنة ٢٠٠٧م بادر ١٣٨ عالماً من علماء الإسلام - في محاولة لتهدئة العلاقات بين المسلمين والفاتيكان - فأرسلوا إلى البابا رسالة - من خلال «مؤسسة آل البيت» بالأردن - يطلبون الحوار، للوصول إلى «كلمة سواء».. فكان الرد الفاتيكاني هو تصريح ممثل الفاتيكان «بأن الحوار مع المسلمين صعب، لأنهم يؤمنون أن القرآن من عند الله»!!.
- وفي مايو سنة ٢٠٠٩م زار البابا بنديكتوس السادس عشر الأراضي المقدسة..

- وفي عمان - بالأردن - دعا المسلمين إلى فصل الدين عن الدولة والسياسة.. وعلمنة الإسلام والمجتمعات الإسلامية!..

ـ وفى إسرائيل . . زار متحف المحرقة . . وتحدث عن اليهود باعتبارهم «الإخوة الأعزاء» . . ودعا إلى تعميق المصالحة مع اليهود . . وزار ـ وهو الحبر الأعظم . . عظيم الفاتيكان . . أكبر الكنائس المسيحية ـ زار أسرة الجندى الصهيونى «جلعاد شاليط» ـ الذى أسر وهو يقهر شعباً فلسطينياً يرزح تحت نير الاحتلال ! . . .

وتجاهل البابا ـ الذى يتحدث كثيراً عن العدالة ـ أن أكثر من عشرة آلاف أسير فلسطينى ـ بينهم نساء وأطفال ـ يقبعون فى سجون الدولة الصهيونية ، لا لشىء إلا لأنهم يريدون تحرير وطنهم من قهر الاحتلال . . فلم يشر البابا إليهم بكلمة . . ولم يتذكر أن لهم أسراً تنتظر أبناءها منذ أكثر من عشرين عاماً !! .

ـ وعندما زار البابا القدس الشريف ، لم يقل كلمة واحدة عن عروبتها . . ولا عن التهويد الذى يجهز على هويتها العربية! . . فمعاهدة الفاتيكان مع الدولة الصهيونية فى ١٩٩٣/١٢/٣١م ـ قد جعلت الكنائس الكاثوليكية فى المدينة المقدسة تسجل نفسها وفق القانون الإسرائيلى الذى ضم المدينة إلى إسرائيل بعد احتلالها سنة ١٩٦٧م ! . .

ـ وفى المرة التى أشار فيها البابا إلى حقوق الفلسطينيين ـ بمدينة بيت لحم فى ١٣ مايو سنة ٢٠٠٩م ـ أشار إلى حق

الفلسطينيين فى «وطن» داخل «حدود معترف بها دوليًا» . . ولم يذكر مصطلح «الدولة»! . . وترك حدود هذا «الوطن» ـ الذى ابتلعت المستوطنات الصهيونية ـ فى القدس والضفة الغربية ـ أكثر من نصف بقاياه! . . ترك البابا تحديد «حدود هذا الوطن» «للمجتمع الدولى» الذى يتحكم فيه الفيتو الأمريكى ، والمسيحية الصهيونية ـ الغربية! . . ونسى البابا ـ أو تناسى ـ أن هناك حدوداً «للدولة الفلسطينية» حددتها الأمم المتحدة بقرار تقسيم فلسطين رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧م . . وأن هناك ـ أيضاً ـ حدوداً للأرض التى احتلتها إسرائيل فى عدوان سنة ١٩٦٧م . . نسى الحبر الأعظم ـ عظيم الفاتيكان ـ كل هذه «الحدود» و«الحقوق» إكراما لعيون الصهيونية ـ وهو الذى جعل عنوان كتابه عن مريم : [ابنة صهيون] !! . وأطلق على اليهود لقب «**الإخوة الأعزاء**»! . .

ومع هذه «الحدود» و«الحقوق» الفلسطينية ، نسى البابا ـ هو وكنيسته ـ حقوق الإسلام والمسلمين ، الذين يعترفون بالمسيحية ـ وبكل النبوات والرسالات والكتب والشرائع ـ والذين يعظّمون رموز المسيحية أكثر مما يعظمها كثير من المسيحيين! . . والذين يتلون فى صلواتهم آيات القرآن الكريم التى تصف الإنجيل بأن ﴿ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائدة:٤٦) .

* * *

تلك حقائق ووقائع ، يحسن أن نتذكرها ، وأن نذكّر بها[1] ونحن نتقدم إلى حوار الفاتيكان حول موقفه الأحدث من الإسلام والمسلمين ، ذلك الذى صاغه فى « ورقة العمل » ، التى سيناقشها « مجمع - سينودس » أساقفة الكاثوليكية الشرقية - فى حاضرة الفاتيكان - ١٠-٢٤ أكتوبر سنة ٢٠١٠م - . . وهو حوار نبتغى من ورائه مراجعة المواقف . . وتصويب التصورات ، للوصول - نحن والفاتيكان - إلى كلمة سواء .

---

(١) انظر - فى هذه الحقائق والوقائع - :

«نيوزويك» - الأمريكية - أعداد ٢٠٠٥/٤/١٢م ، ٢٠٠٥/٤/١٩م ، ٢٠٠٥/٥/٣ ، ٢٠٠٦/٩/٢٦م ، ٢٠٠٧/٢/٢٧م . وصحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - عدد ٢٠٠٦/٩/٢١م - مقال السيد ولد أباه «البابا والإسلام : الخلفية التاريخية للخطاب» . وعدد ٢٠٠٦/٤/٢٦ م «منتدى الكتب» .

وصحيفة «الأهرام» - القاهرة - مقال أسامة سرايا «عاصفة بابا الفاتيكان» عدد ٢٠٠٦/١٠/١٣م . وصحيفة [المدينة] السعودية - ملحق «الرسالة» عدد ٢٠٠٦/١٠/٦م . وصحيفة «الأسبوع» القاهرة . عدد ٢٠٠١/١١/٥م . وصحيفة «العالم الإسلامى» - مكة - عدد ٢٠٠٦/١١/١٦م . وصحيفة [عقيدتى] - القاهرة - عدد ٢٠٠١/١١/١م . وصحيفة «البصائر» - الجزائر - عدد ٢٠٠٦/٧/١٠م - مقال : الدكتور عمار الطالبى . وصحيفة «وطنى» - القاهرة - عدد ٢٠٠٦/٩/٢٤ - الترجمة الكاملة لمحاضرة البابا بنديكتوس السادس عشر بجامعة «ريجنسبورج» - الألمانية فى ١٢ سبتمبر سنة ٢٠٠٦م . وانظر - كذلك - كتابنا [الفاتيكان والإسلام] طبعة مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - سنة ٢٠٠٧م .

— ١ —

خمسُ مُقدِّمات

● أولى هذه المقدمات : هي الطريقة التي صيغت بها هذه « الوثيقة ـ ورقة العمل » . . وهي طريقة مألوفة ومتبعة في المؤتمرات الكنسية ـ وخاصة الغربية ـ ومن أشهرها « مؤتمر كولورادو » الذي عقدته الكنائس الأنجيلية الأمريكية ـ لتنصير المسلمين ـ في مايو سنة ١٩٧٨م . .

لقد كُتبت أولا « ورقة الخطوط العريضة » . . وصدرت عن الفاتيكان في سنة ٢٠٠٩م . . ووزعت في حدود النخبة الكنسية لكاثوليك الشرق ـ في ١٩ يناير سنة ٢٠١٠م .

وكان عدد بنود « ورقة الخطوط العريضة » ٩٢ (اثنان وتسعون) بندا . . ولقد ذُيل كل محور من محاورها بعدد من الأسئلة كي يجيب عليها المختصون الذين وزعت عليهم هذه الخطوط العريضة . .

ولحاجة في نفس « يعقوب الفاتيكاني » خلت « ورقة الخطوط العريضة » هذه من البنود التي تتعلق بعلاقة الفاتيكان بالمسلمين ! . . وهي البنود التي ظهرت في الورقة النهائية ـ « ورقة العمل » ـ والتي وردت في البنود من ٩٥ إلى ٩٩ ـ . .

وبعد جمع الإجابات على الأسئلة ، أعيدت الصياغة ، لتصدر « ورقة العمل » هذه ، مكونة من ١٢٣ بنداً . .

هكذا صيغت « ورقة العمل » ، التى ستكون « جدول أعمال » اجتماع « مجمع - سينودس » أساقفة كاثوليك الكنائس الشرقية ، الذى سينعقد فى حاضرة الفاتيكان - بروما - فى المدة من ١٠ إلى ٢٤ أكتوبر سنة ٢٠١٠م .

تلك هى الطريقة المثلى للإعداد للمؤتمرات .. والتى يجب أن يتعلم منها الذين تبدد حياتهم وجهودهم كثرة المؤتمرات والندوات ! .

● وثانى هذه المقدمات : ما ادعته « ورقة العمل » هذه من ابتعاد هذا « المجمع - السينودس » عن السياسة .. وذلك عندما جاء فى البند ٤٣ :

« وقبل كل شىء ، ينبغى أن نذكّر بأن هدف مجمع سينودس هورعوى محض ، ولا يتناول القضايا الاجتماعية - السياسية للبلاد إلا بطريقة غير مباشرة » .

وهى دعوى لا ظل لها من الحقيقة على الإطلاق .. فورقة العمل هذه ، فى معظمها ، حديث فى السياسة ، وفى العمق السياسى للبلاد الشرقية .. وإلا فماذا تكون قضايا مثل :

- الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى ..
- وعلمنة المجتمعات الإسلامية ..
- والتصدى والمواجهة لظواهر « الإسلام السياسى » و « الأسلمة » .

- بل وطلب التدخل الخارجي الغربي - السياسي والديني - في شئون أوطان الشرق! . .

إنها « ورقة عمل » سياسية ، تمثل جدول أعمال سياسي ، يعقده بطاركة وأساقفة هم زعماء سياسيون في كنائس الشرق ، المحرومة مساجده من الاقتراب من التفكير في مثل هذه السياسات - على الأقل في كثير من هذه البلاد - ! .

● وثالث هذه المقدمات : هي طبيعة هوية الأوطان التي تعيش فيها هذه الكنائس . . في تحديد هذا الوطن وهويته . تقول « ورقة العمل » هذه - في البند ١٠٦ - :

« إننا ننتمي إلى الشرق الأوسط ، ومعه تتحدد هويتنا » . .

وعلى امتداد بنود هذه الوثيقة ينتشر مصطلح « الشرق الأوسط » - بدلاً من « الوطن العربي » ، أو « الشرق الإسلامي » ، أو حتى « المشرق »! . .

ومعروف أن مصطلح « الشرق الأوسط » قد صاغه الاستعمار الإنجليزي ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، ليجعل من هذه المنطقة « مجرد جغرافيا » ، مجردة من الهوية العربية الإسلامية ، وذلك حتى تقبل في أحشائها الجسم الغريب - جسم الدولة الصهيونية - التي لا هي عربية ولا هي إسلامية - والتي بدأ « الحمل » الاستعماري بها منذ وعد « بلفور » في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م ! . .

وعندما بدأت الإمبريالية الأمريكية ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ في وراثة الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة ـ الإنجليزية . . والفرنسية . . والإيطالية ـ وأمسكت بزمام الحماية للكيان الصهيوني، استخدمت هذا المصطلح ـ « الشرق الأوسط » ـ عنوانا على كل مشاريعها الاستعمارية ـ من « مشروع أيزنهاور » لملء الفراغ في « الشرق الأوسط » عقب حرب السويس سنة ١٩٥٦م ـ وحتى مشاريع « الشرق الأوسط الجديد » و« الشرق الأوسط الكبير » ـ التي سعى إليها اليمين الديني الأمريكي، في ظل الحملة الصليبية الغربية على الإسلام والمسلمين، بعد سقوط الشيوعية ومعسكرها سنة ١٩٩١م، وتوحد قبضة الغرب في مواجهة « الخطر الأخضر » ـ الإسلام ـ ! .

ومعروف كذلك، أن هذا المصطلح ـ « الشرق الأوسط » ـ إنما يعبر عن فلسفة هيمنة « المركز الغربي » على « الأطراف »، حتى لكأنها « العبيد والرقيق » التي تسمى بالنسبة لموقعها من « السيد الغربي ! » . . فالشرق الأدنى، هو « أدنى » في موقعه من « المركز الغربي » . . والشرق الأقصى، هو « أقصى » في موقعه من « المركز الغربي » . . و« الشرق الأوسط »، هو « أوسط » في موقعه من « المركز الغربي » . . فهو اصطلاح يجسد « تبعية الأطراف » للمركز الغربي المهيمن ! . .

لذلك : كان هذا المصطلح ـ الشرق الأوسط ـ منذ نشأته الإنجليزية ـ وحتى هذه المحفلات ، عنوانا على المقاصد الإمبريالية الغربية ، التى تريد تحويل وطن العروبة وعالم الإسلام إلى « مجرد جغرافيا » ، مجردة من الهوية الحضارية العربية الإسلامية ، كى تقبل هذه « الجغرافيا » الكيان الصهيونى ، وكى يتم صبغ هذه « الجغرافيا » بهوية التغريب والحداثة ، الصادرة من مركز الهيمنة الغربية إلى « الأطراف » ! .

ولأن هذه هى المقاصد الغربية ـ الصهيونية من وراء استخدام هذا المصطلح ، بديلاً عن مصطلحات « الوطن العربى » و« الشرق الإسلامى » ، كان الرفض لاستخدامه من قبل تيارات الوعى العربى والإسلامى ، وفى القلب منها القيادات المسيحية الوطنية والقومية التى أكدت ـ دائماً وأبداً ـ على أن انتماءها هو إلى العروبة الثقافية والقومية وإلى الإسلام الحضارى ، الذى مثلته وتمثله الحضارة العربية الإسلامية ، التى أسهمت فى بنائها ، وانتمت إليها كل شعوب الشرق الإسلامى ، على اختلاف أقطارها وتعدد دياناتها وأعراقها . .

وإذا شئنا نماذج لهذا الوعى الحضارى ـ العربى ـ الإسلامى ـ الذى صاغه وأعلنه قادة مسيحيون ـ علمانيون ـ وأكليروس ـ والذى أكد على « الهوية العربية الإسلامية » لكل شعوب الشرق العربى الإسلامى . . فإننا نقدم ـ للفاتيكان ـ كلمات :

١- الزعيم القبطى البارز مكرم عبيد باشا [١٨٨٩ - ١٩٦١م].

. الذى كتب - سنة ١٩٣٩م - أى حتى قبل قيام جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥م - يقول:

« المصريون عرب.. والوحدة العربية من أعظم الأركان التى يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة فى الشرق العربى.. إنها حقيقة قائمة وموجودة، ولكنها فى حاجة إلى تنظيم لتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة..»[١]

لقد استخدم مكرم عبيد مصطلح «الشرق العربى»، ولم يستخدم مصطلح «الشرق الأوسط» - الذى ابتدعه الاستعمار ويتبناه الفاتيكان!.

كذلك أعلن مكرم عبيد عن تزامل «العروبة» الثقافية والقومية مع «الإسلام الحضارى» فى تكوين هوية الشرق - بكل أبنائه ودياناته - فقال كلماته الجامعة:

« نحن مسلمون وطنا، ونصارى دينا. اللهم اجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين»[٢]

٢- والمفكر الحضارى البارز الدكتور أنور عبد الملك، الذى كتب يقول:

---

(١) مكرم عبيد - مجلة [الهلال] عدد إبريل سنة ١٩٣٩م.

(٢) صحيفة [الوفد] عدد ١٩٩٣/١/٢١م.

«منذ الفتح العربى الإسلامى دخلنا بالتدريج فى إطار دائرة أسميناها ، منذ إنشاء جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥م ، الدائرة العربية ولكنها ، فى الواقع ، هى دائرة الحضارة الإسلامية . . فالإطار الحضارى للإسلام يشمل المرحلة القبطية «أى المسيحية المصرية» ، كما أن لغتنا هي العربية ، لغة القرآن»[1].

٣- والمفكر الحضارى الدكتور رؤوف نظمى ، الذى قال:

«الأمة مرجعيتها واحدة ، وهي الإسلام ، بما له من تراث وعقائد وأصول ، والأساس هو أن يكون للأمة مرجعية واحدة ، فإذا كانت الأمة إسلامية فمرجعيتها الإسلام ، وإذا كانت كونفوشيوسية ، فمرجعيتها الكونفوشيوسية . إن أغلبية الأمة مسلمون ، والمطلوب هو توجيه الجهود للعمل مع الأغلبية التى لا تزال على مرجعيتها التاريخية ، على تراثها الحضارى ، وعلى عقيدتها .

وإذا كانت المرجعية الإسلامية هى مرجعية الجميع ، تنتهى المشكلة ، فالمطلوب هو أن يكون مشروعنا حضاريا ، من حضارتنا ، وحضارتنا إسلامية ، فالمطلوب أن يكون الإسلام هو المرجعية العامة للجميع»[2].

---

(١) مجلة [أخبار الأدب] عدد ٣٠/٤/٢٠٠٠م .

(٢) مجلة [منبر الحوار] ص ٤١ ، ٤٢ عدد خريف سنة ١٩٨٩م - بيروت .

٤- والمفكر الدكتور غالى شكرى [١٩٣٥-١٩٩٨م] الذى كتب يقول :

« إن الحضارة الإسلامية هى الانتماء الأساسى لأقباط مصر . . وعلى الشباب القبطى أن يدرك جيداً أن هذه الحضارة العربية الإسلامية هى حضارته الأساسية . . إنها الانتماء الأساسى لكافة المواطنين .

صحيح أن لدينا حضارات عديدة من الفرعونية إلى اليوم ، ولكن الحضارة العربية الإسلامية قد ورثت كل ما سبقها من حضارات ، وأصبحت هى الانتماء الأساسى ، والذى بدونه يصبح المواطن فى ضياع . . إننا ننتمى - كعرب من مصر - إلى الإسلام الحضارى والثقافى ، وبدون هذا الانتماء نصبح فى ضياع مطلق . . وهذا الانتماء لا يتعارض مطلقا مع العقيدة الدينية . . بالعكس . . لماذا ؟ لأن الإسلام وحّد العرب ، وكان عاملاً توحيدياً للشعوب والقبائل والمذاهب والعقائد »[1] .

● ومع هؤلاء المفكرين الحضاريين المسيحيين - الذين اخترنا مجرد نماذج منهم - وقف كثير من أهل الفكر من رجالات الأكليروس .

٥- فالأنبا موسى - أسقف الشباب فى الكنيسة الأرثوذكسية المصرية . . شهد فقال :

---

(١) صحيفة [الوفد] عدد ٢١/١/١٩٩٣م .

«من جهة الهوية العربية ، نحن مصريون عرقا وليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقى «إثنى»، لأننا مصريون ، وأتجاسر وأقول : كلنا أقباط ، يجرى فينا دم واحد من أيام الفراعنة . . والثقافة الإسلامية هى السائدة الآن ، كانت الثقافة القبطية هى السائدة قبل دخول الإسلام[1] ، وأى قبطى يحمل فى الكثير من حديثه تعبيرات إسلامية ، يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة عليه ، بل هى جزء من مكوناته

نحن نحيا العربية ، لأنها هويتنا الثقافية ، ومقتنعون بالطبع بأن فكرة العروبة فكرة سياسية واقتصادية وثقافية ، بالإضافة لوحدة المصير المشترك .

ومصر دائماً دولة مسلمة ، ومتدينة ، ولكن بدون تطرف . .

ونحن نرفض المسيحية السياسية ، لأن المسيح قال : «مملكتى ليست بالعالم» . . ولو حدثت المسيحية السياسية تصبح انتكاسة على المسيحية»[2] .

٦- والأنبا يوحنا قلته - نائب البطرك الكاثوليكى فى مصر - الذى أعلن انتماء المسيحيين الشرقيين إلى الحضارة الإسلامية ، وفخرهم واعتزازهم بهذا الانتماء - فقال :

---

(١) فى الحقيقة كانت الثقافة الهلينية اليونانية الغازية هى السائدة فى الشرق قبل الإسلام

(٢) دكتور سعد الدين إبراهيم [الملل والنحل والأعراق] ص ٥٢٩ - ٥٣٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م

« أنا مسلم ثقافة مائة فى المائة . . وكلنا مسلمون حضارة وثقافة . . أنا عضو فى الحضارة الإسلامية ، كما تعلمتها فى الجامعة المصرية . . تعلمت أن النبى ﷺ سمح لمسيحى اليمن أن يصلوا صلاة الفصح فى مسجد المدينة . . إنها الحضارة الإسلامية التى تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحى . . والتى تعلى من قيمة الإنسان كخليفة عن الله فى الأرض . .

وإنه ليشرفنى ، وأفخر أننى مسيحى عربى ، أعيش فى حضارة إسلامية . . وفى بلد إسلامى ، وأساهم وأبنى مع جميع المواطنين هذه الحضارة الرائعة »[1].

تلك هى الهوية الحضارية العربية الإسلامية ، لبلادنا ـ وطن العروبة وعالم الإسلام ـ الشرق العربى الإسلامى ـ كما آمن بها ، وانتمى إليها ، وأعلن عنها هؤلاء المفكرون اللامعون ، من أبناء المسيحية الشرقية ، التى هى مكوّن بنّاء فى هذه الحضارة العربية

---

(١) الأنبا يوحنا قلته ـ من حوار دار عقب محاضرة لى ـ عنوانها « أثر البعد الدينى فى الاشتراك فى العمل العام » دعت إليها لجنة مسيحية ، ممثلة لكل الطوائف ، هى « اللجنة المصرية للعدالة والسلام » . . وكان جمهور المحاضرة نخبة من الطوائف المسيحية . . ولقد عقدت الندوة بفندق الحرية ـ بمصر الجديدة ـ فى ٩/١١/١٩٩١م ـ انظر كتابنا [الإسلام والسياسة : الرد على شبهات العلمانيين] طبعة مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٨م.

الإسلامية . . اجتمع على هذا الموقف . . وعلى هذا الانتماء العلمانيون والأكليروس على حد سواء . .

أما هذا الذى زعمته « ورقة العمل » الفاتيكانية ، فهو ردة على موقف المسيحية الشرقية ، لحساب الموقف الإمبريالى الغربى ، الذى يريد بلادنا مجرد جغرافيا ، بلا هوية حضارية ، لتتمدد فيها إسرائيل ، ولتسود هوية لقيطة ، لا علاقة لها لا بالعروبة ولا بالإسلام ! .

● ورابع هذه المقدمات : حول حديث هذه الوثيقة الفاتيكانية عن العلاقة « الكاثوليكية - اليهودية » . .

فعلى الرغم من عدم اعتراف اليهودية بالمسيحية ، ومن موقف التراث الدينى اليهودى من المسيح - عليه السلام - ومن أمه - مريم العذراء - عليها السلام - . . وهو الموقف الذى يبلغ - فى الإساءات - الحد الذى يجعل القلم يعف عن ترديد فحشه وتجاوزاته . . والذى يجعلنا نكتفى بإشارات قليلة لهذا الموقف اليهودى من المسيحية والمسيح ، لإظهار المفارقة العجيبة فى موقف الفاتيكان من اليهودية . .

● ففى الأوساط اليهودية - التى تحدثت معاهدة الفاتيكان مع إسرائيل فى ١٩٩٣/١٢/٣١م عن « العلاقة الفريدة بين الكاثوليكية والشعب اليهودى » - . . والذين يسميهم الفاتيكان

« الإخـوة الكبـار .. والإخـوة الأعـزاء » ـ فـي هـذه الأوسـاط اليهودية ، أصبح من العادات الشـعبية المألوفـة : البصـق ثـلاث مرات عند مشاهدة كنيسة أو صليب ، مع ذكر الآيات التوراتيـة التي تشتم الأغيـار وتسبهم .. مـن مثـل : « فلتحتقـرهم كليـا وتمقتهم » ـ سفر التثنية ٧ : ٢٦ ـ . . .

● وينص التلمود على أن عقوبة يسوع في الجحيم هي إغراقه في غائط يغلي !! .. وفي « مشناة توراة » ـ [الشروح الشفوية للتوراة] ـ التي دونها موسى بن ميمون [١١٣٥ - ١٢٠٤م] ولخص فيها التلمود ـ في هذه الشروح يقول اليهودي ـ كلما سمع اسم يسوع ـ : « أهلك الله الاسم الشرير . . . وفليبلى الاسم الشرير ، يسوع الناصري وتلامذته »!!

● وفي التلمـود ، أمـر لليهـود بإحراق أي نسخة من الإنجيـل ، علانية إذا أمكـن .. وفـي الثالـث والعشـرين مـن مـارس سـنة ١٩٨٠م أحرقت مئات النسخ مـن الإنجيـل ، بصـورة احتفاليـة بمدينـة القـدس ، تحـت رعايـة المنظمـة الدينيـة اليهوديـة « يادلعاخيم » التي تتلقى المعونـات الماليـة مـن وزارة الشـئون الدينية الإسرائيلية »!![1]

---

(١) إسرائيل شاحاك [الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود] ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦ . ترجمة : حسن خضر طبعة دار سينا ـ القاهرة سنة ١٩٩٤م .

على الرغم من هذا الموقف اليهودى ـ الثابت والشائع ـ من المسيحية ورموزها ومقدساتها . . فإن هذه الوثيقة الفاتيكانية قد أفردت للعلاقات الكاثوليكية مع اليهودية واليهود ضعف المساحة التى أفردتها للعلاقة مع المسلمين!! . .

ولم يقف الأمر عند « المساحة » وإنما تعدى ذلك إلى طبيعة ونوع العلاقات . .

- فالعلاقة لا تقف ـ فقط ـ عند « اليهود » ، وإنما تتعداهم لتشمل « اليهودية » أيضاً . . فالبند ٨٥ ـ من الوثيقة الفاتيكانية ـ مخصص للحديث عن « الأساس اللاهوتى للعلاقة باليهودية » ـ كما يخص اليهود بشرف الانتساب إلى أبى الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ عندما يخصهم « بالمكان الملحوظ لشعب نسل إبراهيم »! . .
- وفى البند ٨٦ ـ عندما تصف هذه الوثيقة المسيحيين بأنهم « شعب الله » ، تجعل حصاليهم لهذا الشرف امتداداً لليهود ، شعب الله المختار ، فتقول :

« شعب الله هو شعب العهد الجديد فى استمرارية لشعب العهد القديم . . »! .

وتؤكد ـ الوثيقة ـ هذا المعنى وهذا الامتياز اليهودى ـ فى البند ٨٦ ـ الذى يتحدث عن : الشعوب المتجهة نحو شعب الله :

« أولهم ذلك الشعب الذى نال العهود والمواعيد ، ومنه ولد المسيح بحسب الجسد » .

كما يشير - هذا البند - إلى « اهتمام الكنيسة واستعدادها الطيب فى علاقاتها مع اليهودية » .

● وفى البند ٨٧ تشير « ورقة العمل » هذه إلى « الوثيقة المجمعية الثانية ، كلمة الله ، التى تعتبر العهد القديم بمثابة تهيئة للإنجيل ، وكجزء لا يتجزأ من تاريخ الخلاص . . وتبين الأهمية التى يشغلها الشعب المؤتمن على العهد الأول بالنسبة للكنيسة . وتعنى هذه الرؤية الأساسية ، كم هو جوهرى للكنيسة الحوار مع الإخوة الأكبر » !! . . حتى ولو لم يكن هذا الحوار سهلاً : -

● وفى البند ٩١ - تتحدث الوثيقة الفاتيكانية عن :

« شوق المؤمنين - [الكاثوليك] - ورغباتهم إلى فتح باب الحوار مع اليهودية . . والصلاة المشتركة . . انطلاقاً من المزامير وقراءة وتأمل نصوص الكتاب المقدس ، فالصلاة تخلق لدى الطرفين استعداداً طيباً ، يسمح باستدعاء روح الله ، لطلب مواهب السلام ، والاحترام المتبادل ، والمصالحة ، والصفح المتبادل ، والعون المتبادل ، لإقامة علاقات دينية جيدة » .

● وعلاوة على كل هذا الشوق إلى كل هذه الآمال - التى لا تجد ، بالطبع ، أى تجاوب من قبل اليهود ! - . . يتنى البند ٩٣ - من

هذه الوثيقة ـ « على رغبة التعمق فى التقاليد اليهودية ، بدراسة جادة من الناحية التاريخية واللاهوتية ، خاصة على المستوى الجامعى فى الكليات اللاهوتية » .

ولتحقيق كل هذه المهام . والآمال . . والأشواق الكاثوليكية فى العلاقة اللاهوتية مع شعب الله المختار : المؤمن على العهد الأول . . نسل إبراهيم . . الشعب الذى نال العهود والمواعيد . . الإخوة الأكبر . . والإخوة الأعزاء . لتحقيق هذه الآمال ، أقام الفاتيكان خمس مؤسسات تحدث عنها البندان ٨٨ ، ٩٤ ـ وهى :

١- مجلس الأديان للمؤسسات الدينية ـ فى مدينة القدس ـ .

٢- ولجنة الحوار مع اليهود ، فى بطريركية القدس الدينية .

٣- ولجنة الحوار على مستوى الكرسى الرسولى مع الرابينية الكبرى لإسرائيل .

٤- ولجنة العلاقات الدينية مع اليهود .

٥- ونيابة بطريركية للمسيحيين الناطقين باللغة العبرية .

● وإذا كان مفهوما ـ وطبيعياً ـ أن « تشجب » الوثيقة ـ فى البند ٩٠ ـ « المعاداة للسامية » ـ حتى بالمعنى الشائع فى الغرب ـ الذى يساوى بين اليهود وبين السامية ـ مخرجاً الشعوب السامية من هذا الإطار !! . .

إذا كان هذا مفهوماً ـ في وثيقة صادرة عن الفاتيكان تخطط لرعاياه الشرقيين ـ فإن الكارثة ، والمأساة الملهاة ، هي تبرؤ الكنيسة الكاثوليكية من « معاداة الصهيونية »!! . . ـ التي اغتالت الأرض المقدسة ـ أرض المسيح ـ واقتلعت المسيحيين ـ مع المسلمين ـ من ديارهم! ـ ففي هذا البند ـ ٩٠ ـ تقول الوثيقة الفاتيكانية :

« إن جميع الأوساط الكنسية في الشرق الأوسط قد تخطت روح العداء لليهودية . وإن العداء للصهيونية هو موقف سياسي ، وبالتالي ينبغي النظر إليه على أنه خارج كل خطاب كنسي »!!

أي أنها تطلب استبعاد معاداة الصهيونية من كل الخطابات الكنسية . . وكأن معاداة الصهيونية رجس من عمل الشيطان ، يجب أن يطهر منه الخطاب الكنسي ، الذي يريده الفاتيكان حتى من الكنائس الشرقية التي أدخلتها الصهيونية ـ في بلد المسيح ـ إلى نفق مظلم ومسدود! . .

إنه الغرام المتبتل في محراب اليهودية . . والعاشق للحوار مع اليهود . . شعب الله المختار . . نسل إبراهيم الخاص . . المؤتمن الأول على العهود والمواعيد . . الإخوة الأكبر . . والأعزاء . .

مع البراءة من العداء للصهيونية ـ التي تمارس الفصل العنصري ضد المسلمين والمسيحيين ـ والتي أدانتها الأمم المتحدة سنة ١٩٧٤م كشكل من أشكال العنصرية . .

هكذا فكر الفاتيكان .. وهكذا أراد فرض هذا الفكر على كنائسه - المستقلة ذاتيًا .. كما يقول - في فلسطين والمشرق العربي الإسلامي ! ..

- وخامس هذه المقدمات : حول ما جاء في هذه الوثيقة عن علاقة الكاثوليكية مع المسلمين.
- لقد تحدثت - في البند ٩٥ - عن « التقدير للمسلمين » وليس للإسلام ! .
- وعن الاعتراف بالمسلمين .. وليس بالإسلام !
- وبعد أن تحدثت عن الاتفاق مع اليهودية في اللاهوت .. أعلنت الاختلاف العميق مع الإسلام في العقائد والأصول !
- وأصرت على التنصير للمسلمين - الذين يعترفون بالمسيحية ، ويعظِّمون رموزها - مع الامتناع عن التنصير لليهود - الذين ينكرون المسيحية ، ويلعنون رموزها - ! ..
- وقررت أنه لا صعوبات في الحوار مع اليهودية - التي لا تعترف بالمسيحية - بينما تحدثت - في البند ٩٦ - عن الصعوبات في الحوار مع المسلمين - فضلاً عن الإسلام - !
- وعلقت التعايش مع المسلمين على غلمنة الإسلام والمجتمعات الإسلامية .. متجاهلة غرابة - بل وشذوذ - تعليق التعايش مع الأغلبية على تنازل الأغلبية عن ذاتها وأصولها ! .

وإلا فهل يجوز للمسلمين - مثلاً - أن يعلقوا التعايش مع المسيحيين على التنازل عن التثليث ؟!.

إن أى تعايش راسخ الأركان بين أى منظومات أو أنساق فكرية أو دينية أو سياسية ، إنما يقوم على الاعتراف المتبادل والقبول المتبادل والاحترام المتبادل بين فرقاء هذه المنظومات والأنساق .. اعتراف الجميع بالجميع .. مع اختصاص كل فريق بشريعته أو برنامجه فى الإصلاح .. والمشكل فى واقعنا الدينى هو أن الأقلية لا تعترف بدين الأغلبية - كدين سماوى - .. بل وتريد من الأغلبية التنازل - بالعلمنة - عن ذاتها وأصولها !!

● كما تذهب هذه الوثيقة - فى البند ٩٦ - إلى الغمز واللمز حول « أقدمية » وجود المسيحية قبل الإسلام! .. مع تجاهل أن الوثنية وعبادة العجل أيس هى أقدم من الديانات السماوية الثلاث! .. وأن الإسلام يرتب توالى الشرائع والنبوات - منذ آدم وإلى محمد - عليهم السلام - كدرجات صعدتها البشرية على سلم الإيمان ، حتى جاءت الشريعة الخاتمة المؤمنة بالكل ، والتى لا تفرق بين أحد من رسل الله! ..

● وكذلك ذهبت الوثيقة - فى ذات البند - ٩٦ - إلى الغمز واللمز بالإشارة إلى ما أسمته « جذور » الإسلام فى الوسط اليهودى والمسيحى .. مع أن حديثها عن الاختلافات العميقة فى

الأصول بين الإسلام والمسيحية ينفى الحديث عن هذه « الجذور »!.

- كما تدعو هذه الوثيقة ـ فى البند ٩٨ ـ إلى مراجعة الكتب الدينية فى مناهج التعليم بالبلاد الإسلامية « لتنقيتها » ـ كما تقول ـ « من الأحكام المسبقة والصور النمطية عن الآخر »... متجاهلة أن الصور النمطية الإسلامية عن المسيحية تعظم رموز المسيحية واليهودية وكل النبوات والرسالات، وتعترف بكل الكتب السماوية، وكل الشرائع الدينية، وتعترف بالمسيحية دينا سماويا، وتقول عن إنجيل المسيح ـ عليه السلام ـ إن فيه هدى ونوراً.. بينما الصور النمطية لليهودية واليهود عن المسيحية وعن الإسلام.. وكذلك تصورات المسيحية والمسيحيين عن الإسلام، هى الإنكار والاستنكار والإقصاء والإلغاء والانتقاص ـ بل وحتى الإهانة والازدراء للرموز الإسلامية!.. حتى ليحق لنا أن نتساءل:

- من يعترف بمن ؟.. ومن ينكر من ؟!.
- ومن يحترم من؟.. ومن يزدرى من ؟!.

نعم.. تلك هى الأفكار الرئيسية لما جاء بهذه الوثيقة الفاتيكانية خاصا بالعلاقة مع المسلمين.. وهى أفكار تنطلق، فى جوهرها، من عبارات البابا بنديكتس السادس عشر التى قال

فيها عن دين الإسلام ـ دين التوحيد الخالص والتنزيه الكامل ـ أغرب وأعجب ما يمكن أن يقال . . قال :

« إن الإسلام ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية ، لا ينتمي إلى الوحي نفسه الذي تنتمي إليه اليهودية والمسيحية »![1]

لقد نسي عظيم الفاتيكان أن يسأل نفسه :

– أين هو التوحيد عند الذين جعلوا الله خاصا بقبيلة من القبائل ، وجعلوا للشعوب الأخرى آلهتها ؟ ! . .

– وأين هو التوحيد عند الذين جعلوا « الآب » ـ كما هو الحال في الوثنية الأرسطية ـ مجرد محرك أول للعالم . . حركه . . وانقطعت علاقته برعايته وتدبيره ، ليتولى الخلق والرعاية والتدبير « اللوجس » ـ العقل الأول ـ الكلمة ـ الابن يسوع « خالق كل شيء » الذي به كان كل شيء ، وبدونه لم يكن شيء ، وهو الألف والياء ، والبداية والنهاية ، والأول والآخر » .

– يوحنا ١ : ٢ – ٣ – ، رؤيا يوحنا ٢٢ : ١٣ –

(١) صحيفة « لوموند » ـ الفرنسية ـ من مقال للكاتب « هنري تنك » ـ نقلاً عن : الدكتور عمار الطالبي ـ صحيفة [البصائر] ـ الجزائرية ـ في ١٠/٧/٢٠٠٦م .

نعم . . لقد أعادت هذه الوثيقة ـ في البند ٩٦ ـ إثبات ما قاله بنديكتوس السادس عشر عند زيارته للأراضي المقدسة ـ فلسطين ـ في مايو سنة ٢٠٠٩م ـ عندما قال للمسلمين الفلسطينيين :

« بالرغم من أصولنا المختلفة ، لنا جذور مشتركة . . نشأ الإسلام في وسط كانت فيه اليهودية ، وكذلك فروع مختلفة من المسيحية . . كما أن التراث العربي المسيحي له أهمية خاصة في الحوار مع المسلمين ، ويجب تنميته ـ [أي التراث المسيحي] ـ بدرجة أكبر » ! .

كما طالبت الوثيقة ـ في البند ٩٦ ـ المسلمين أن يغيروا إسلامهم ، وذلك بقطع علاقاته بالسياسة ـ وعلمنته ـ لأن « هناك غالبا صعوبات في العلاقات بين المسيحيين والمسلمين ، خاصة بسبب أن المسلمين لا يفصلون بين الدين والسياسة » .

الأمر الذي يذكرنا بتصريح المتحدث باسم الفاتيكان ، تعليقاً على دعوة ١٣٨ عالماً مسلماً الفاتيكان للحوار ، وصولاً إلى كلمة سواء . . عندما قال :

- إن الحوار مع المسلمين صعب ، لأنهم يؤمنون أن القرآن من عند الله !! . .

لقد اتخذت هذه الوثيقة موقف الإقصاء للإسلام ، عندما قطعت ـ في البند ٩٩ ـ « بأن عقائدنا مختلفة اختلافاً عميقاً » . . قالت

ذلك عن الإسلام الذى يعترف بالمسيحية ويعظّم رموزها - بينما أسرفت فى التودد لليهودية واليهود ، إلى الحد الذى تبرأت فيه من معاداة الصهيونية التى اغتصبت وطن المسيح عليه السلام! . . وألزمت بذلك المسيحيين العرب والفلسطينيين ضحايا هذه العنصرية الصهيونية! . .

تلك هى نظرة هذه الوثيقة الفاتيكانية للعلاقة المسيحية بالمسلمين ، الذين يمثلون البحر المحيط بالقطرة المسيحية الشرقية التى تعيش فيه ! .

- ٢ -

الفاتيكان والقضية الفلسطينية

فى هذه الوثيقة الفاتيكانية - التى تحدثت كثيراً عن العدالة والسلام - والتى نصت - فى البند ٣٦ - على أنه «لا يوجد تعارض بين حقوق الإنسان وحقوق الله». . .

فى هذه الوثيقة لا يجد الإنسان أثراً للعدالة - البشرية - أو الإلهية - ولا أثراً لحقوق الإنسان الفلسطينى - الذى اغتصبت أرضه. . ودنست مقدساته - منذ ما يزيد على الستين عاماً ! . .

- فلا كلمة واحدة عن القدس، التى تجهز الصهيونية اليوم على عروبتها - الضاربة فى عمق التاريخ اثنين وستين قرناً - من الألفية الرابعة قبل الميلاد وحتى الألفية الثالثة للميلاد - . .
- ولا كلمة واحدة عن اللاجئين الفلسطينيين، الذين يكونون أكبر كتلة من اللاجئين على النطاق العالمى . . والذين قررت الشرعية الدولية - بالقرار الأممى ١٩٤ - حقهم فى العودة إلى وطنهم. . بينما تجاهل الفاتيكان ذلك، حتى لا يغضب «الإخوة الأكبر. . والأعزاء»! . .
- ولا كلمة واحدة - فى هذه الوثيقة - عن ضرورة إنهاء الاحتلال الصهيونى للأرض - التى حددها القرار الأممى ١٨١ لسنة ١٩٤٧م - للدولة العربية الفلسطينية . . بل ولا حتى الجلاء

عن الأرض التي احتلتها إسرائيل في عدوان يونيو سنة ١٩٦٧م!..

- ولا كلمة واحدة - في هذه الوثيقة - عن المقدسات الإسلامية المهددة بالهدم في القدس.. ولا التي تم الاستيلاء عليها - بتقسيمها، أو ضمها للتراث اليهودي - في الخليل وبيت لحم، وغيرهما من المدن الفلسطينية.. ولا عن تقييد حرية العبادة - حتى العبادة - للمسلمين في الحرم القدسي الشريف.. ولا عن طرق المساجد والمصاحف في العديد من مدن الضفة الغربية وقراها .
- وتبلغ هذه الوثيقة ذروة الخيانة لحقوق الشعب الفلسطيني - مسلميه ومسيحييه - عندما تطلق - هذه الوثيقة - الأسماء الصهيونية على الأرض الفلسطينية في الضفة الغربية فتسميها - في التقديم ص٣ - :

«اليهودية والسامرة»!!

أي هكذا - والله - بلغت هذه الوثيقة الفاتيكانية - التي تشرع للمسيحيين الشرقيين.. وللكاثوليك منهم على وجه الخصوص !..

- ثم تذهب هذه الوثيقة لتكريس ضياع القضية الفلسطينية عندما تدين المقاومة للاحتلال، وتسميها «عنفا».. وتسوى بين عنف الظالم المحتل، وعنف المظلوم الذي يقاوم الاحتلال!

* * *

- فبعد أن نسيت هذه الوثيقة الفاتيكانية ذكر مدينة القدس المحتلة ـ التى اعتبرها الفاتيكان .

- بمناسبة سنة الفداء ـ فى ٢٠/٤/١٩٨٤م ـ «شعار الدولة اليهودية»!! . .

- وبعد أن نسيت ـ هذه الوثيقة ـ أكثر من عشرة آلاف أسير فلسطينى ـ بينهم نساء وأطفال ولدوا فى السجون الإسرائيلية ـ! . .

- وبعد أن نسيت ـ هذه الوثيقة ـ الحرب القذرة التى شنها الصهاينة على غزة ـ ديسمبر سنة ٢٠٠٨م ـ يناير سنة ٢٠٠٩م ـ والتى استخدم فيها الصهاينة الأسلحة المحرمة دوليًا . . والتى ارتكبوا فيها الجرائم ضد الإنسانية . . والإبادة للمدنيين العزل ـ وفق ما قرره القاضى اليهودى «جولد ستون» والمجلس الأممى لحقوق الإنسان ـ . .

وكذلك الحرب التى شنها الصهاينة على لبنان . . واستخدموا فيها اليورانيوم المنضب والفسفور الأبيض ـ فى يوليو سنة ٢٠٠٧م ـ . .

- وبعد أن نسيت ـ هذه الوثيقة ـ اللاجئين الفلسطينيين الذين تجاوز عددهم السبعة ملايين! . .

- وبعد أن نسيت قرارات الشرعية الدولية حول إنهاء الاحتلال ، وتصفية الاستعمار ، وتحريم وتجريم تغيير المحتل لطبيعة وهوية الأرض المحتلة وسكانها . .

- وبعد أن نسيت الاستيطان الصهيونى ، الذى ابتلع القدس وقرابة نصف الضفة الغربية . . كما استولى على المياه . . وحرق الأشجار فى الأرض المقدسة . .

- وبعد أن نسيت جدار الفصل العنصرى - الذى أدانت إقامته محكمة العدل الدولية - والذى حول حياة الإنسان الفلسطينى إلى قطعة من العذاب ، بتقطيعه أوصال القرى ، وحتى العائلات! .

- بعد أن نسيت هذه الوثيقة الفاتيكانية كل ذلك . . وتجاهلت كل ما له علاقة بالعدالة . . ذهبت إلى رفض مقاومة مظالم الاحتلال ، وأدانت سلوك طريق التحرر الوطنى لإنهاء الاحتلال الصهيونى ، فأنكرت على المظلومين الرازحين تحت الاحتلال حقهم المشروع ، وفق القوانين الدولية والشرائع السماوية ، فى انتزاع أرضهم وحريتهم ومقدساتهم من براثن الاحتلال! نعم . . ذهبت هذه الوثيقة الفاتيكانية إلى هذا الموقف الغريب والعجيب والمريب . . وذلك عندما قالت - فى البندين ١٠٢ ، ١١٢ - :

« إن من واجبنا أن نشجب العنف بشجاعة من أى طرف يصدر . . فى هذه الظروف تقوم مساهمة المسيحى فى أن يقدم ويعيش قيم الإنجيل ، وأيضاً فى قول الحق فى وجه الأقوياء الذين يقترفون الظلم . . وكذلك فى وجه من يجاوبون على الظلم بالعنف . . إن عنف الأقوياء والضعفاء على السواء ، قاد منطقة الشرق الأوسط إلى فشل متكرر ، وإلى مأزق عام!

- [ولقد تكررت إدانة عنف الضعفاء المظلومين - أى مقاومتهم من أجل التحرر - بهذه الوثيقة الفاتيكانية - فى البند ١٠٠ أيضاً] . .

- فهل مهمة المسيحى الشرقى - التى يحددها له الفاتيكان - هى التسوية بين عنف الظالم المحتل ، المغتصب للأرض والعرض والمقدسات ، وبين عنف المظلوم الذى يسلك سبيل المقاومة لتحرير وطنه ومقدساته؟! .

وهل مطلوب من الفلسطينيين ترك مقاومة الاحتلال ، فى «مجتمع دولى» تتحكم فيه القوى العظمى التى صنعت وترعى مأساة اغتصاب وطنهم فلسطين؟! .

- وهل صحيح ما يقوله الفاتيكان من أن خبرة الشرق هى فشل المقاومة المسلحة كطريق للتحرر الوطنى؟! .

إذن . . .

- بماذا تحررت مصر من الاستعمار الإنجليزى . . ومن العدوان الصهيونى ؟ . .

- وبماذا تحررت الصين ؟ . .

- وبماذا تحررت فيتنام؟ . .

- وبماذا تحررت الجزائر من استعمار فرنسا الكاثوليكية ؟ ! .

- وبماذا تحررت ليبيا من استعمار الفاشية الإيطالية الكاثوليكية؟! . .

- وبماذا تحررت كينيا من الاستعمار الإنجليزى ؟

- وبماذا تحررت إريتريا من الاحتلال الأثيوبى الأرثوذكسى؟!

- وما الذى جعل الأمريكان - وحلفاءهم الغربيين - يفكرون - هم والمتنصّرون - فى الانسحاب من أرض العراق؟ .

- ولماذا اضطر الجيش الصليبى الأثيوبى إلى الانسحاب من الصومال ؟ .

- ولماذا انسحب السوفييت من أفغانستان . . ويفكر الأمريكان - وحلف النيتو - الآن بالانسحاب - هم والمتنصّرون - ؟! .

هذا عن قصة الشرق مع المقاومة لتحرير الأوطان . .

أما عن قصة الغرب - أيضاً - مع هذا الطريق للتحرر الوطنى . فهلا سأل الفاتيكان نفسه :

- بماذا تحررت فرنسا الكاثوليكية من الاحتلال النازى - الذى كان بنديكتوس السادس عشر عضواً فى شبيبة حزبه النازى - ؟!! . .

- وبماذا تحررت أمريكا الشمالية من الاستعمار الإنجليزى؟

- وبماذا تحررت كثير من بلاد أمريكا الجنوبية من الاستعمار الأسبانى ، الذى كانت تباركه كنيسة الفاتيكان؟! . .

- إن الفاتيكان ، عندما يدعو المسيحيين الشرقيين إلى أن يكونوا خصوماً للمقاومة فى سبيل تحرير أوطانهم من الاستعمار

والاحتلال . . إنما يدعوهم إلى « خيانة » أوطانهم ، بالانسحاب من الجهاد الوطنى للشعوب التى هم جزء أصيل فيها . .

فإذا هم استجابوا « لوصفة » الفاتيكان ، وانسحبوا من نضال شعوبهم للتحرر الوطنى ، ومقاومة الاحتلال . . واستجابوا ـ كذلك ـ « لوصفة » الفاتيكان بالتنكر لانتمائهم الحضارى ـ العربى الإسلامى ـ فهل يجوز ـ بعد ذلك ـ التباكى على عزلتهم ، وعلى هجرتهم من البلاد؟! .

إن هذه « الوصفة » الفاتيكانية ، إنما تدعو المسيحيين الشرقيين إلى « خيانة » واجباتهم الوطنية الراهنة . . وإلى التنكر لتاريخهم الوطنى فى مقاومة الاستعمار ، عندما شاركوا فى مقاومته ـ السياسية والمسلحة ـ مع إخوانهم المسلمين ـ على امتداد تاريخ الشرق فى مقاومة الاستعمار ـ ! . .

والفاتيكان ـ بهذه الدعوة ـ التى تسعد الكيان الصهيونى ، وتمكنه من ابتلاع الأرض العربية التى يحتلها ـ إنما يتنكر للقانون الدولى ، الذى يشرّع للمقاومة كسبيل للتحرر الوطنى وتصفية الاستعمار . . وللشرائع السماوية ، التى تنهى عن السكوت على العدوان والاغتصاب وعن الرضى بالظلم ، والتفريط فى الحقوق ـ التى هى حقوق لله وهبها للإنسان ـ كى يحافظ عليها ، لا ليفرط فيها ـ . .

● وإذا كانت الوثيقة الفاتيكانية - التي تتحدث عن الشرق الأوسط - قد قالت - في البند ١١٢ - وفي بنود أخرى - : إن « الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني هو محور الصراعات في الشرق الأوسط » . فلِمَ لَمْ تشر - هذه الوثيقة - إلى الصراعات الإسرائيلية ضد بلاد شرق أوسطية ، احتلت إسرائيل أرضها ، وشنت الحروب العدوانية على شعوبها - بعض في هذه الشعوب من المسيحيين الشرقيين - ؟! . .

- إن للبنان - وفيه المسيحيون التابعون للكاثوليكية - أرضا محتلة من قبل إسرائيل . .

- وإن لسوريا - وفيها المسيحيون - أرضا محتلة من قبل إسرائيل . .

- وإن مصر - وفيها المسيحيون - قد تعرضت مراراً لعدوان إسرائيل ولاحتلالها أرضا مصرية .

- وإن العراق - وفيه مسيحيون - قد تعرض لعدوان إسرائيلي على مفاعله النووي سنة ١٩٨١ م . . وهو محتل الآن من قبل الأمريكان وحلفائهم الغربيين .

فلِمَ لَمْ تشر هذه الوثيقة الفاتيكانية - التي تتحدث عن الشرق الأوسط - إلى الحروب والاعتداءات الإسرائيلية خارج أرض فلسطين - وعلى امتداد « الوطن التوراتي » - من النيل إلى الفرات!

- ثم . . أليست أفغانستان ـ التى تدمرها أمريكا وحلف الناتو ـ من الشرق الأوسط؟! . . فلِمَ لَمْ تشر إلى مأساتها وثيقة الفاتيكان الشرق أوسطية؟! . .
- وأين يضع الفاتيكان منطقة القوقاز ، التى احتلتها القيصرية الروسية منذ مئات السنين؟! . .

إن هذه الوثيقة الفاتيكانية ـ مع الأسف الشديد . والأسى العميق ـ إنما تفتح أبواب الخيانة الوطنية أمام المسيحيين الشرقيين! . . ونحن على ثقة كبيرة بأن العقلاء فى هؤلاء المسيحيين ـ وهم كثيرون والحمد لله ـ لن يقبلوا تجرع هذا السم الفاتيكانى المميت ! .

- ٣ -

هجرة المسيحيين الشرقيين

تحتل قضية هجرة المسيحيين الشرقيين من بلادهم ، وتوطنهم فى أوربا وأمريكا واستراليا ، حيزاً كبيراً فى هذه الوثيقة الفاتيكانية ، حتى لقد زادت البنود التى تحدثت عن هذه القضية عن عشرة بنود . .

● ففى البند ١٩ تقول الوثيقة :

« . . ومن المؤكد أن ضعف المسيحية حيث وُلدت ، وكم بالأكثر تلاشيها ، هو خسارة للكنيسة الجامعة»

ونحن نقول للفاتيكان : إن ضعف المسيحية الشرقية ، وهجرة أبنائها ، وتلاشيهم ، ليس خسارة للكنيسة الكاثوليكية - التى تسمى نفسها « الجامعة » ! - بقدر ما هو خسارة للحضارة الإسلامية ، التى شارك هؤلاء المسيحيون الشرقيون فى بنائها ، وانتموا إليها . . بل إن تلاشى هؤلاء المسيحيين الشرقيين هو خسارة للإسلام ، الذي يعد التعددية الدينية سنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل . . فالتعددية - فى الرؤية الإسلامية - حافز من حوافز الحراك والتدافع الفكرى والاجتماعى ، ومن ثَمّ فهى طاقة محركة على طريق التجدد والإبداع والتسابق على دروب الخيرات .

لكن الحقيقة التي تجاهلتها هذه الوثيقة الفاتيكانية هي تشخيص الأسباب الموضوعية لهجرة المسيحيين الشرقيين . .

● إنها تعزو - في البند ١١٨ - هجرة المسيحيين من الأراضي المقدسة - فلسطين - إلى عدم حسم الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني . . وهي تتجاهل أن هذا الصراع يطال قهره المسلمين والمسيحيين على السواء - بل ربما نال المسلمين منه الحظ الأوفى والأوفر . . فلماذا يهاجر المسيحي الفلسطيني ، ويترك وطن المسيح والمسيحية ، ولا يهاجر المسلم من الأرض المباركة . . أرض الإسراء والمعراج؟!

إن المسلم الفلسطيني يُهَجَّر ، ولا يهاجر! . . وحتى عندما يُهَجَّر ، ويُقْتَلَع من دياره ، تظل قضية العودة إلى وطنه حية في عقله ، مشتعلة في وجدانه ، يحييها حياته ، ويورِّثها لأولاده ، الذين يتوارثون مفاتيح البيوت التي هُجِّروا منها ، وذكريات الوطن الحبيب السليب الذي اقتلعوا منه .

إن الحقيقة ، التي تجاهلتها الوثيقة الفاتيكانية - والتي تدين توجهات هذه الوثيقة - تقول :

إن المسيحية الشرقية عندما كانت تشارك في ثورة أحمد عرابي [١٢٥٧-١٣٢٩هـ ١٨٤١-١٩١١م] سنة ١٨٨٢م وثورة سنة ١٩١٩م بقيادة سعد زغلول [١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ ١٨٥٧ - ١٩٢٧م] وفي حركات التحرر الوطني بالشرق . . وعندما كانت تنتمي للهوية العربية الإسلامية ، لم تضعف . .

ولم يهاجر أبناؤها . . ولم يتهددها التلاشى والانقراض . . لكن انقلاب قطاعات من أبناء هذه المسيحية الشرقية على الهوية الحضارية لبلادهم ، وانسحابهم من مواجهة التحديات - تبعا لتوجيهات الوثيقة الفاتيكانية - هو الذى أحدث لهذه المسيحية الشرقية الضعف ، وهددها بالتلاشى والانقراض . فالسمك عندما يخرج من الماء لابد أن ينفق ويموت ! . . والانتماء الحضارى ، والمشاركة فى مواجهة التحديات مع جموع الأمة ، هو - بالنسبة لكل الجماعات والطبقات - « الحاضنة » التى تضمن التنفس والحياة والنماء . . كالماء بالنسبة للسمك سواء بسواء ! . .

ولقد عبر عن هذه الحقيقة المفكر القومى ، والابن البار للمسيحية الشرقية ميشيل عفلق [١٩١٠ - ١٩٨٩م] عندما تحدث عن الانتماء الحضارى العربى الإسلامى باعتباره « الحاضنة الجامعة » للمسيحيين الشرقيين . . وعن أن ضعف هذا الانتماء - بالطائفية . . وبالتغريب - هو سبب المشكلة - التى تدور من حولها ، دون أن تلمسها - وثيقة الفاتيكان . . لقد قال ميشيل عفلق :

« لقد غذى الاستعمار قطاعات من الأقليات المسيحية « بأفكاره الخاطئة » . . ولقد أحدثت المدارس الأجنبية والمدارس التبشيرية - على امتداد قرن كامل - تشوهاً ثقافياً ، بما نفثت من سموم فى تلك الأوساط . . حتى خلقت تياراً

انعزاليًا ذا وعى وشعور منحرف ، يزعم أنه غير عربى ، ويسعى للتحالف مع الغرب ضد العروبة والإسلام . .

إن الفروق الطائفية أبعدت قسما هاما من العرب عن روح بلادهم وتقاليدها ، وجعلتهم شبه غرباء فى وطنهم ، وأضعفت ، بالنتيجة مساهمتهم فى الحركة القومية . .

ونحن نريد أن تستيقظ فى المسيحيين العرب قوميتهم يقظتها التامة ، فيروا فى الإسلام ثقافة قومية لهم ، يجب أن يتشبعوا بها ويحبوها ، لأنه متصل بطبعهم وتاريخهم ، لأنه الميدان الذى برهن فيه العرب على كفاءتهم فى تسامى الروح وخصب الفكر وقوة الأخلاق . . وسوف يعرف المسيحيون العرب ، عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظتها التامة ، ويسترجعون طبعهم الأصيل ، أن الإسلام هو لهم ثقافة قومية ، يجب أن يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها ، فيحرصوا على الإسلام حرصهم على أثمن شىء فى عروبتهم . .

وإذا كان الواقع لا يزال بعيداً عن هذه الأمنية ، فإن على الجيل الجديد من المسيحيين العرب مهمة تحقيقها بجرأة وتجرد ، مضحين فى سبيل ذلك بالكبرياء والمنافع ، إذ لا شىء يعدل العروبة وشرف الانتساب إليها . . »[1].

---

(١) ميشيل عفلق [فى سبيل البعث] جـ٤ ص ١٧ ، ١٧٣ طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م .

تلك هي المشكلة - كما شخصها ، بعبقرية ، ابن الروم الأرثوذكس ، ميشيل عفلق - وهذا هو الحل . .

فالانتماء الجامع للعروبة الثقافية والقومية والإسلام الحضاري هو « الحاضن الجامع » للمسيحيين مع المسلمين . . بينما التغريب ، الذي ينزع المسيحي من هذا الانتماء الجامع هو الذي يصيبه بالاغتراب ، فيعزل في « جيتو » الطائفية والكنيسة . . حتى يشد الرحال إلى المهاجر ، فيندمج في الحضارة التي استبدلها بحضارته العربية الإسلامية .

وعندما كان المسيحيون الشرقيون يجسدون هذا النموذج - الذي تحدث عنه وتمناه ميشيل عفلق - في الانتماء للعروبة والإسلام الحضاري ، كان مكرم عبيد باشا [١٨٨٩ - ١٩٦١م] يرشح نفسه في الانتخابات النيابية بدائرة « السيدة زينب » - في القاهرة - فيكسب ثقة الناخبين - وجميعهم مسلمون - ويكتسح كل المرشحين المسلمين المنافسين ! . . ولم يكن أحد يفرق بين مكرم عبيد المسيحي - ابن الحضارة الإسلامية - وبين زعيمه سعد زغلول باشا [١٨٥٧ - ١٩٢٧م] ابن الأزهر الشريف ! . . فالانتماء الوطني والقومي والحضاري - العربي الإسلامي - هو جواز المرور إلى قلوب الجماهير .

ويومها لم يكن المسيحيون الشرقيون يهاجرون ، ولا كانت المسيحية الشرقية يتهددها التلاشي والانقراض . . أما عندما جاء

الذين يستبدلون عبارات «شعب الكنيسة» . والشعب المسيحى» بعبارة «الأمة العربية»! . ويقولون - بلسان الأنبا غريغوريوس [١٩١٩ - ٢٠٠٢م] - الرجل الثانى فى الكنيسة الأرثوذكسية المصرية ، وأسقف التعليم والدراسات العليا والبحث العلمى .

«إن اللغة القبطية هى لغتنا . . وهى تراث الماضى ، ورباط الحاضر ، وهى من أعظم الدعائم التى يستند إليها كيان الشعب المسيحى . . وهى السور الذى يحمينا من المستعمر الدخيل»!![1].

وعندما جاء الذين يعلنون - بلسان الأنبا توماس - أسقف القوصية ، بصعيد مصر - :

- «أن الشخص القبطى يشعر بالإهانة إذا قلت له : إنك عربى»!.
- «وأن اللغة القبطية هى اللغة الأم لمصر»! . .
- «وأن الأقباط يعانون ويحاربون خطرى التعريب والأسلمة»!.
- «وأنهم قد وجدوا ثقافتهم تموت ، ووجدوا أنفسهم مسئولين عن حمل ثقافتهم والمحاربة من أجلها حتى يأتى الوقت الذى يحدث فيه انفتاح ، وتعود دولتنا لجذورها القبطية . . وحتى يأتى هذا الوقت ، فإن الكنيسة تقوم بدور الحاضنة للحفاظ على هذا التراث القومى المختلف»! . .

---

(١) صحيفة [وطنى] عدد ٣٠/٧/٢٠٠٠م .

- «وأن المسلمين قد خانوا الأقباط منذ الاحتلال العربي لمصر»!![1]

أما عندما حدث هذا الانقلاب على الهوية القومية العربية والانتماء الحضاري الإسلامي ـ بفعل الطائفية الانعزالية والتغريب ـ فإن قطاعات كبيرة من المسيحيين الشرقيين قد خرجت من «حاضنة الانتماء الحضاري الجامع» إلى «جيتو الطائفة والكنيسة» فأطبق عليها اليأس والاغتراب، الذي دفعها إلى الهجرة، حتى باتت تتحدث ـ شاكية. مع الفاتيكان ـ عن التلاشي والانقراض..

والمشكل، أن وثيقة الفاتيكان ـ التي نحاورها ـ تسير في الطريق الذي يريد الطين بلة!.. وتتجاهل أية إشارة إلى العلاج..

فهي ـ مثلاً ـ في البندين ٤١، ٤٢ ـ ترجع تأزم وضع المسيحيين في الشرق إلى «تصاعد الإسلام السياسي اعتباراً من سنة ١٩٧٠م.. وعودة الأمة إلى إسلام الأصول» ـ وذلك بدلاً من أن تدرك أن هذه العودة إلى السمات الإسلامية والانتماء الحضاري الإسلامي، هي عودة إلى الانتماء الجامع للمسيحيين

---

(١) من محاضرة للأنبا توماس، بمعهد «هدسون» ـ في واشنطن، بتاريخ ١٨/٧/٢٠٠٨م. انظر صحف [الدستور] و[المصري اليوم] و[البديل] في ١٣/٨/٢٠٠٨م.. وانظر كتابنا [الفتنة الطائفية متى.. وكيف.. ولماذا؟] ص ٦٤. طبعة مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٩م.

والمسلمين جميعاً ، على امتداد تاريخهم الطويل . فهى عودة إلى الأصل .. وهى العلاج الذى أبصره ميشيل عفلق .. وليست المرض ـ كما زعمت وثيقة الفاتيكان ـ ! .

إن هذه الوثيقة الفاتيكانية تخدع المسيحيين الشرقيين عندما تجعل ما تسميه « الإسلام السياسى » مسئولاً عن هجرة هؤلاء المسيحيين .. ذلك أن هجرة هؤلاء المسيحيين إلى الغرب قديمة ، قبل أن يعرف الشرق والغرب ظاهرة « الإسلام السياسى » .. ولقد بدأت هجرة الأقباط الأرثوذكس مع قانون الإصلاح الزراعى ـ فى سبتمبر سنة ١٩٥٢م ـ لأنهم كانوا يمثلون النسبة الأكبر ـ بالنسبة لتعدادهم ـ فى الإقطاعيين الذين أضيروا من عدالة هذا القانون ! .. ولم يكن بمصر « إسلام سياسى » فى ذلك التاريخ ..

وجاءت الموجة الثانية من هجرة المسيحيين المصريين مع قوانين « تمصير الشركات الأجنبية » عقب العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦م ، لأن هؤلاء المسيحيين كانت لهم الغلبة فى وظائف هذه الشركات الأجنبية تحت سيطرة الاحتلال الإنجليزى لمصر ! .. ولم يكن بمصر يومئذ « إسلام سياسى » بل لقد كان هذا التيار قابعاً فى السجون والمعتقلات ! ..

ثم جاءت الموجة الثالثة من هجرة المسيحيين المصريين عقب صدور القوانين الاشتراكية ـ التى طورت الإصلاح الزراعى وأممت الشركات ـ سنة ١٩٦١م .. لأن هؤلاء المهاجرين قد اعتبروا أنفسهم ضحايا عدالة هذه القوانين ! .. ولم يكن بمصر يومئذ

« إسلام سياسي » ، لأن أهل هذا التيار كانوا لا يزالون قابعين في غياهب السجون والمعتقلات ! ..

وفي السنوات الأخيرة .. وفي ظل الحظر المفروض من الدولة على هذا التيار - تيار « الإسلام السياسي » - تصاعدت معدلات الهجرة المسيحية من مصر ! .. لأن أمريكا - والدول الغربية الدائرة في فلكها - تريد « تفريغ » المجتمعات الشرقية من الكفاءات .. وهي تفضل المهاجرين المسيحيين من الشرق - كما تفضلهم من شرق أوربا - على المهاجرين المسلمين ! ..

ومع أن نسبة المسيحيين المصريين لمجموع السكان هي ٥,٤٪ فإن نسبتهم في تأشيرات هجرة « اليانصيب » الأمريكية ٩٥٪ !.. ونسبة الشباب المسيحي بين المهاجرين تزيد عن ٧٠٪ !..

وإذا كانت الأرقام حقائق صلبة وعنيدة ، فإن النظر في « ظاهرة » هجرة المسيحيين الشرقيين يضع يدنا على حقيقة أنها تتم من أغلب المجتمعات التي لا علاقة لها بما يسمى « بالإسلام السياسي » .

- لقد تمت وتتم من فلسطين ، وهي تحت الاحتلال الصهيوني ، الذي يستولي على المساجد بل ويحرقها ! ويقيد حتى حرية الصلاة ، ويقتل ويسجن الإسلاميين - الذين يسميهم « الإرهابيين » ! .
- وتمت في العراق البعثي .. القومي .. العلماني .. كما تتم الآن تحت الاحتلال الأمريكي ! .

● وتمت وتتم فى سوريا البعثية القومية العلمانية .. حيث الانتماء ـ مجرد الانتماء ـ لما يسمى بالإسلام السياسى ، عقوبته الإعدام ! ..

● وتمت وتتم من تركيا ـ حيث العلمانية الأتاتوركية المتوحشة ـ التى حاربت ، ليس فقط « الإسلام السياسى » ، وإنما أشكال التدين الشعائرى للمسلمين ! ..

● وتمت وتتم فى لبنان ، حيث العلمانية هى الخيار الذى اتفق عليه الجميع ! .

ولعل فى أرقام الجدول التالى ما يؤكد هذه الحقائق الصلبة والعنيدة .. ويسدد أوهام الوثيقة الفاتيكانية حول ربط الهجرة المسيحية بالإسلام السياسى وبالعودة إلى إسلام الأصول :

الدولة	عدد ـ أو نسبة ـ المسيحيين قبل الآن	عدد ـ أو نسبة ـ المسيحيين الآن	ملاحظات
تركيا	٢,٠٠٠,٠٠٠ فى سنة ١٩٢٠م = ١٥٪ من السكان	٨٠,٠٠٠ = ١٪ من السكان	
إيران	٣٠٠,٠٠٠ في سنة ١٩٧٩م	١٠٠,٠٠٠	
سوريا	٣٣٪ من السكان سنة ١٩٠٠م	١٠٪ من السكان	

لبنان	٥٥٪ من السكان سنة ١٩٣٢م	أقل من ٣٠٪ من السكان	حرب سنة ٢٠٠٦م دفعت مليونا للهجرة
القدس	٥٣٪ من نسبة السكان سنة ١٩٢٢م	١٠,٠٠٠ = ٢٪ من نسبة السكان	
بيت لحم	٨٥٪ من نسبة السكان سنة ١٩٤٨م	١٢٪ من نسبة السكان	
فلسطين	٢٠٪ من نسبة السكان سنة ١٩٤٨م	٦٥,٠٠٠ = ١٠٪ من نسبة السكان	
الضفة الغربية	———	٥١,٠٠٠	
غزة	———	٣,٥٠٠	
العراق	١,٢٥٠,٠٠٠ في سنة ١٩٧٨م = ٥٪ من السكان	٧٠٠,٠٠٠ في سنة ٢٠٠٣م = ٣٪ من السكان	وبعد الاحتلال هاجر ٣٥٠,٠٠٠ والباقي ٣٥٠,٠٠٠ = ١,٥٪ من السكان
الأردن		١٦٠,٠٠٠ = ٤٪ من السكان	(١)

(١) انظر في هذه الإحصاءات: صحيفة [الحياة] ـ لندن في ١١/٦/٢٠٠٨م ـ دراسة أحمد دياب ـ بعنوان «هل يخلو الشرق الأوسط من مسيحييه؟». وانظر كذلك: الدكتور رضوان السيد [الحياة] في ١٨/٣/٢٠٠٨م.

- لقد أرجع الدكتور كمال فريد إسحاق - أستاذ اللغة القبطية بمعهد الدراسات القبطية ما أسماه « انقراض المسيحيين المصريين خلال مائة عام » إلى ثلاثة أسباب :
أولها : الهجرة إلى الخارج .
وثانيها : اعتناق عدد كبير منهم الدين الإسلامي .
وثالثها : أن معدل الإنجاب عند المسيحيين ضعيف »[1]
- وقالت « نيوزويك » - الأمريكية - إن عدد المسيحيين العرب « في الشرق الأوسط ، الآن يتراوح ما بين ١٢ و ١٥ مليون ، ويمكن لهذا الرقم أن ينخفض إلى ستة ملايين فقط بحلول عام ٢٠٢٥م » .
- وتنبأ « دروكريستيانس » رئيس تحرير « مجلة أمريكا » « باندماج المسيحيين الشرق أوسطيين في نهاية المطاف في بحر المسيحية الغربية »![2] .
- وعلى حين تشكو الوثيقة الفاتيكانية من هجرة المسيحيين الشرقيين ، فإن كتابات مسيحية تكشف عن تشجيع الكنائس الشرقية لهذه الهجرة؟!! .. فلقد كتب الصحفي المسيحي « مايكل فارس » كلاما خطيراً عن تصاعد معدلات الهجرة القبطية من مصر .. وكان عنوان المقال [٧٠٠ ألف قبطي

---

(١) صحيفة [المصري اليوم] عدد ١٢/٥/٢٠٠٧م .
(٢) [نيوزويك] عدد ١٥/١/٢٠٠٨م .

تقدموا بطلبات الرحيل : الكنائس تحولت إلى مراكز للهجرة ، تتلقى طلبات الشباب وتعلمهم اللغات بأسعار رمزية] ! . .

وتحدث هذا الكاتب عن « وجود مركز في كل كنيسة فمهمته تلقى طلبات الهجرة بأجر رمزى ، أو دون مقابل للشباب . ويتزايد الإقبال خلال الشهور من أكتوبر وحتى ديسمبر من كل عام ، وتأتى استراليا وكندا في مقدمة الدول المستهدفة . ولقد أرجع الشباب - الراغبون في الهجرة - تقدمهم بطلباتهم عن طريق الكنائس لثقتهم في المؤسسة الدينية وصورتها المقبولة في الخارج ، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م »!![1]

لقد تحولت الكنائس إلى « جيتو » - مقبول الصورة في الخارج بعد ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م - .. ويوشك هذا « الجيتو » أن يصبح « ممر » الهجرة للمسيحيين الشرقيين إلى خارج أوطانهم الشرقية .. لقد صنعوا المأساة - أو على الأقل أسهموا إسهاماً كبيراً في صنعها - ثم أخذوا يشكون منها - عن طريق الفاتيكان - ! . .

وإذا كان ٧٠٠,٠٠٠ (سبعمائة ألف) قبطى - ٧٠٪ منهم من الشباب - قد تقدموا - عن طريق الكنائس - للهجرة في عام واحد

---

(١) مايكل فارس - صحيفة [صوت الأمة] عدد ٢٠٠٨/١/١٥م - وانظر كتابنا [الفتنة الطائفية] ص ٧٦ - ٧٩ .

ـ وهذا العدد يقترب من خُمس المسيحيين المصريين ـ فإننا ندرك حجم الفاجعة والمأساة التى تصدّر هذه الكفاءات إلى الخارج ـ بعد أن حبستها ـ بالطائفية . . وتآكل الانتماء الحضارى ـ فى « جيتو » الكنيسة ، وفرضت عليهم العزلة والاغتراب واليأس والقنوط!! . .

* * *

ثم إن هذه الوثيقة الفاتيكانية تضلل المسيحيين الشرقيين ، عندما تتحدث ـ فى البند ٤٤ ـ عن أن « الحالة الاقتصادية هى أحد أسباب الهجرة المسيحية » .. متجاهلة أن الأقليات المسيحية فى الشرق تمتلك ـ أحياناً ـ النسبة الأكبر من ثروات القطاع الخاص ـ فى كثير من البلاد العربية ـ وأنها ، فى الجملة ، لا تعانى ما تعانيه جماهير الأغلبيات المسلمة من أزمات ومشكلات الفقر . . والبطالة . . والأمية . . والسكن . . والعجز عن الزواج . . إلخ . . إلخ . .

وتنسى هذه الوثيقة المخططات الغربية الاستعمارية ـ القديمة . والجديدة ـ الحريصة على تركيز الثراء فى جانب الأقليات والحرمان فى جانب الأغلبيات ـ ليس حبا فى عيون الأقليات ، وإنما لإحداث القلق وإذكاء الصراعات الداخلية فى بلادنا . . صنعت ذلك فى لبنان . . ويصنعه الأمريكان الآن بمصر . . ففى

سنة ٢٠٠٧م اعتمد الكونجرس الأمريكي - بالقانون ٢٧٦٤ - ٥٠٪ من المعونات الأمريكية غير العسكرية - المخصصة لمصر - وذلك لتمويل وتقوية المنظمات القبطية - وعددها ٤٠ منظمة !.

وكذلك لمساعدة القرى المصرية التي تسكنها نسبة عالية من الأقباط، بدعوى «تطوير جالية الأقباط المسيحيين»!! وتوجيه أغلب المعونات الأمريكية التي تقدم للقطاع الخاص المصري لتكوين «جيل من شباب الأعمال الأقباط»!! . .

ولقد كتبت صحيفة [الأهرام] - الرسمية - الوقورة - عن هذه «الجريمة الأمريكية» أربع مقالات - في ٤ أغسطس سنة ٢٠٠٧م - [1]

هكذا يعمل الاستعمار على تكوين - كما يقول - «جيل من شباب الأعمال المسيحيين» ليكون منهم كبار الأثرياء . . الذين تسير استثماراتهم في ركاب جيوش الغزو الأمريكي للعالم الإسلامي! . . والذين يزكي ثراؤهم - الفاحش أحياناً - مشاعر الحقد الاجتماعي والصراع الطبقي في المجتمعات الشرقية . . ثم

---

(١) انظر مقالات صلاح الدين حافظ - الأهرام - في ١، ٨، ١٥، ٢٠٠٧/٧/٢٩م عن «المعونة والمعانين والمتعاونين» و«المعونة الأمريكية والتمييز بين المسلمين والمسيحيين» و«الاستخدام السياسي للمعونات الأجنبية» و«من المسئول: حكومتنا أم حكومتهم؟».

تأتى الوثيقة الفاتيكانية لتضحكنا بالحديث عن أن المسيحيين يهاجرون لأنهم فقراء!! . .

* * *

ثم تذهب هذه الوثيقة ـ التى تردد كثيراً مصطلح « العدالة » ـ إلى حيث تدافع ـ فى البند ٤٩ ـ عن حقوق « مئات الآلاف من المهاجرين المسيحيين ـ الأفارقة والآسيويين ـ الذين يتدفقون على بلدان الشرق الأوسط ، كوافدين للعمل . . ضد المظالم الاجتماعية التى يتعرضون لها . . فهذه الهجرة الوافدة تشكل نداء لكنائسنا ، إذ تقع على كنائسنا مسئولية رعوية لمرافقة هؤلاء الأشخاص ، سواء على الصعيد الدينى أو على الصعيد الاجتماعى » .

وتنسى هذه الوثيقة أن المجتمعات الشرقية التى تعانى من البطالة الحادة ، إنما تنظر إلى هذه الهجرات المسيحية الوافدة ، التى ترعاها الكنائس ، فى إطار المخططات الرامية لتغيير « الديموغرافية المدنية » بالبلاد!! . .

كما أن موقف الوثيقة الفاتيكانية من الدفاع عن حقوق هؤلاء المهاجرين المسيحيين إلى الشرق . . وموقفها ـ كذلك ـ فى البند ٤٨ ـ الداعى إلى « تشجيع المهاجرين المسيحيين من الشرق إلى الغرب على اقتناء ممتلكات عقارية فى أوطانهم الأصلية » ! . .

إن هذا الموقف الفاتيكانى ـ الداعى « للعدالة » ـ لا نجد له أثراً فى تحريك ضمير الفاتيكان إزاء المهاجرين المسلمين ـ العرب

والأفارقة - إلى أوربا ، والذين يعانون من العنصرية و« الإسلاموفوبيا » - الذى يشارك فيه الفاتيكان ! - كما يعانون من الأعمال الشاقة ، والحقيرة ، والأجور المتدنية - ومن شبح الترحيل إلى بلادهم - التى امتص الاستعمار خيراتها على امتداد خمسة قرون ، ثم أسلمها إلى « النخب الفاسدة » التى رباها فى مدارس إرساليات التنصير! . .

بل إن قساوسة الكنائس الغربية ، يذهبون إلى هؤلاء المهاجرين المسلمين - فى معسكرات الاحتجاز للترحيل - فيساومونهم على ترك إسلامهم والتحول إلى المسيحية ، مقابل « حق الإقامة » و« فرصة العمل » فى تلك البلاد! . .

فأين هو ضمير الفاتيكان - وأين هى « العدالة » فى التعامل مع هؤلاء البؤساء من المهاجرين المسلمين ؟! . . أم أنهم - كاللاجئين المسلمين - لا نصيب لهم فى « عدالة » الفاتيكان؟! . .

* * *

- وإذا كان شهيرا حماس الكنائس الشرقية - ورعيتها - لتنظيم - وحتى تحديد - نسل المسلمين - فإن هذه الوثيقة تدعو الأسر المسيحية إلى عكس ذلك . . وتجعل زيادة نسل المسيحيين رسالة للكنيسة . . فتقول - فى البند ٢٩ - :

« تعمل الكنيسة فى المقام الأول على تنمية الأسرة . . وفى الإطار الديموغرافى (السكانى) الحالى ، تشجع الكنيسة العائلات الكثيرة العدد »! .

وهكذا تكون « العائلة الفاتيكانية » ـ فى هذه الوثيقة ، موضوع هذا الحوار ـ ! . .

- ٤ -

حرية الضمير .. وتغيير الدِّين

فى الموقف مما يسمى « حرية الضمير » بمعنى حرية الكفر والزندقة والإلحاد - وتغيير الدين .. تعبر الوثيقة الفاتيكانية عن « العقلية الغربية » وليس عن « العقلية الشرقية ».. ثم تذهب لتفرض هذه العقلية الغربية على الشرقيين - مسيحيين ومسلمين -!..

ففى الغرب - وبالذات فى أوربا - ليس الدين مما يغار عليه الإنسان ، ولا هو من ثوابت الهوية التى يتمسك بها ، ويضحى فى سبيلها .

ولقد اكتشف رفاعة الطهطاوى [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ ١٨٠١ - ١٨٧٣م] هذه الحقيقة عندما ذهب إلى باريس - بنت الكاثوليكية .. وعاصمة أكبر بلادها - فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، فكتب يقول :

« إن أكثر أهل هذه المدينة - [باريس] - إنما له من دين النصرانية الاسم فقط ، حيث لا يتبع دينه ، ولا غيرة له عليه ، بل هو من الفِرَق المُحَسِّنة ، والمقبِّحة بالعقل ، أو فرقة من الإباحيين الذين يقولون إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب ، ولذلك فهو لا يصدق بشيء مما فى كتب أهل الكتاب

لخروجه عن الأمور الطبيعية . . ولهم فى الفلسفة حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية»![1]

فالمرء ـ فى تلك الحضارة ـ لا غيرة له على دينه ، وهو يتنازل عنه ، ويهمله ، ويبدله كما يبدل المنزل أو السيارة ـ وربما أدنى من ذلك ! ـ . ولذلك أسباب تتعلق بالميراث الوثنى الإغريقى ـ وبالطابع الخرافى للاهوت الكنسى . . وبالفلسفة الوضعية ـ وبالعلمانية ، بعد عصر النهضة الأوربية الحديثة ، التى أزالت المسيحية عن عرشها فى الفضاء الأوربى .

لكن مكانة الديانة فى الشرق ـ مسيحية كانت أو إسلاماً ـ عند المسيحيين وعند المسلمين ـ ليست على هذا المنوال . .

فالمسيحيون المصريون الأوائل ـ والشرقيون عموماً ـ كانوا يُقبلون على الموت ، طعاما للأسود وللنيران ، دون أن يتخلوا عن دينهم أو يبدلوه! .

وقبل المسيحية ، يحكى القرآن الكريم قصة «أصحاب الأخدود» ، الذين أقبلوا ـ فرحين ـ على الحرق بالنيران فداء للدين الذى به يؤمنون ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) رفاعة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] جـ٣ ص ٧٩ ، ٢٢٠ ـ دراسة وتحقيق دكتور محمد عمارة ـ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م .

شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(البروج : ٤ - ٩)

وعندما ظهر الإسلام ، سجل التاريخ ، أروع صور الصمود البطولي والأسطوري للمؤمنين المستضعفين - من الرجال والنساء - الذين اكتووا بحرارة الرمضاء كي يبدلوا دينهم ، فما زادهم ذلك إلا إيمانا ، وإعلانا عن التوحيد : « أحد أحد » !

وفي النسق العقدي الإسلامي أصبح الحفاظ على الدين وعلى الوطن - الذي هو وعاء إقامة الدين - معيارا للموالاة وللمعاداة . وصار الحفاظ على الدين أول ضرورة من ضرورات مقاصد الشريعة الإسلامية . . وجاء في الحديث النبوي الشريف : « من قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد » - رواه الترمذي - . . .

وبهذه القيمة ، وهذه المكانة للدين ، اصطبغت الحضارة الإسلامية ، وكل أبنائها ، المسلمون منهم والمسيحيون . . حتى أننا نجد - في واقعنا المعاصر - شعوب الشرق - المسيحيين منهم والمسلمين - يضعون الدين والعرض والشرف في المقام الأعلى ، ويضحون في سبيلها بالحياة . . ولذلك عُدّ تغيير الدين - لدى

المسلمين والمسيحيين الشرقيين ـ خيانة وعارا ، يعاقب عليه بالقتل ـ حتى وإن كان ذلك افتئاتا على السلطان والقانون والقضاء! ـ . . .

وتلك هي الحقيقة الحضارية الإسلامية الشرقية التي غابت عن العقلية الغربية والمتغربة التي صاغت وثيقة الفاتيكان [. فقالت ـ بلهجة النقد والاستنكار ـ في البند ٣٧ ـ :

« في الشرق عادة ما تعني الحرية الدينية حرية العبادة ، وبالتالي فهي لا تعني بعدُ حرية الضمير ، أي حرية أن يؤمن الشخص أو لا يؤمن ، أن يمارس ديانة سرًا أو علناً بدون أية عقبة ، وبالتالي حرية تغيير الديانة . إن الديانة في الشرق ، عادة ما تكون اختياراً اجتماعيًا ، بل قوميًا ، لا اختياراً فرديًا ، فتغيير الديانة يعتبر خيانة تجاه المجتمع والثقافة والأمة المبنية أساساً على تقليد ديني » .

ويا ليت هذه الوثيقة الفاتيكانية سلمت بهذا التمايز الحضاري الشرقي إزاء الدين ، وإزاء تغيير الدين ، باعتباره خصيصة حضارية شرقية ، يستوي في الاستمساك بها المسيحيون والمسلمون على حد سواء .

ولكنها انساقت وراء مقاصد تنصير المسلمين ، وتغيير دينهم ، ووراء ذلك الذي سمته « حرية الضمير » للمسلم كي يغير دينه . .

فتحدثت ـ فى البند ٤١ ـ عن « أن الحرية » الدينية وحرية الضمير مجهولتان بوجه عام فى الإطار الإسلامى » .. وقالت ـ فى البند ٣٨ ـ : « إن الاهتداء إلى الإيمان المسيحى ينظر إليه كنتيجة لاقتناص مغرض ، وليس لاقتناع دينى حقيقى » .

ثم وقعت هذه الوثيقة الفاتيكانية فى التناقض ، عندما أطلقت على الانتقال من الكاثوليكية إلى الإنجيلية ـ والمفترض أنهما دين واحد ـ مصطلح « الاقتناص » !.. فقالت ـ فى ذات البند ـ ٣٨ ـ : « إن بعض الجماعات الإنجيلية تمارس الاقتناص المسيحى علنا » !

ثم مضت فأمعنت فى تحدى هذه « الخصوصية الدينية الحضارية الشرقية » إزاء مكانة الدين ، فطالبت ـ فى ذات البند ـ « باحترام حقوق الإنسان ، حرية ضميره كاملة » ! .

لقد تجاهلت هذه الوثيقة ـ التى صاغتها العقلية الغربية والمتغربة ـ التى لا تغار على الدين ـ أن هذه الغيرة على الدين ، واعتباره عنوانا على الذات ، واعتبار تغييره خيانة اجتماعية ، هى قيمة سائدة حتى داخل الطوائف المسيحية الشرقية ذاتها .. وليست ـ فقط ـ بينها وبين الإسلام ..

- فالأرثوذكس الأقباط يرفضون الزواج فى كنائس الكاثوليك والإنجيليين .. ولا يعدونه زواجا مسيحيًا ! .. ويرفضون الصلاة فى غير الكنائس الأرثوذكسية .

- وكثيرون من أبناء هذه الطوائف يرتكبون جرائم القتل - خارج القانون - بسبب تغيير الدين - الذي تدافع عنه الوثيقة الفاتيكانية ، وتدعو إليه ، وتسميه « حرية الضمير » - بل إن الكنيسة الأرثوذكسية المصرية تختطف وتسجن - في الأديرة - من ينتقل منها إلى الإسلام ! .

- بل إن الفاتيكان - الذي صاغ هذه الوثيقة - غاضب كل الغضب من « حرية الضمير » هذه التي أدت وتؤدي إلى انتقال رعيته من الكاثوليكية إلى الإنجيلية في أمريكا اللاتينية وأمريكا الشمالية! . .

لكنه يريد تسويق هذا الذي سماه « الاقتناص » بين المسلمين ، تحت عنوان « حرية الضمير »! . . وهي حرية مرفوضة إسلامياً ، لأنها تعني حرية التنصير ، الذي عدنا حرباً عالمية عظمى ضد الإسلام والمسلمين ، وليس مجرد قناعة فردية خاصة يمليها العقل والضمير .

-٥-

الدعوة إلى علمنة الإسلام والمسلمين

تشكو كل الكنائس الأوربية من الآثار الكارثية التى صنعتها العلمانية بالمسيحية فى أوربا.. وكيف أن هذه العلمانية - بفلسفتها الوضعية - قد أحلت «الحداثة» كدين وضعى محل الدين الإلهى - دين ثالوثه: العقل.. والعلم.. والفلسفة - وبذلك هَمَّشت المسيحية، وأصابتها بالإعياء، وكادت أن تقضى عليها.

ولقد اشتكى البابا بنديكتوس السادس عشر - فى كتابه [بلا جذور: الغرب - النسبية - الإسلام والمسيحية] - من «تحول مسيحية غالبية الأوربيين إلى مجرد انتماء لأسر كانت مسيحية فى يوم من الأيام».. كما اشتكى من «تراجع معدلات المواليد فى أوربا المسيحية» بسبب النزعة الدنيوية للعلمانية، التى كادت أن تقضى على مؤسسة الأسرة فى المجتمعات الأوربية!..

لقد أصبحت أوربا شبه خاوية من الروحانية المسيحية، حتى أن:

- الذين يؤمنون بوجود إله فيها - حتى ولو لم يعبدوه - أقل من ١٤٪ من الأوربيين!..
- والذين يذهبون إلى القداس مرة فى الأسبوع، فى فرنسا - بنت الكاثوليكية.. وأكبر بلادها - أقل من ٥٪ من سكانها - أى

أقل من ثلاثة ملايين ـ وهو نصف عدد الفرنسيين المسلمين الذين يواظبون على صلاة الجمعة ! .. وهم فى التشيك أقل من ٣٪ من السكان ! ..

- وهناك نقص فى الرهبان ـ بسبب العزوف عن العزوبية ـ حتى أصبح هناك راهب واحد لكل ١,٢٠٠ مسيحى أوربى! .. وفى إفريقيا راهب واحد لكل ٤,٠٠٠ ! .
- وفى أمريكا يواجه ٣,٠٠٠ قسيس تهم التحرش الجنسى بالأطفال ! .. ولقد شاعت الانحرافات الجنسية بين القساوسة والرهبان ـ وخاصة فى الاعتداء على الأطفال ـ حتى أفلست الكثير من الإبراشيات بسبب التعويضات التى تدفعها لضحايا هذه الاعتداءات الجنسية ! .
- وفى أمريكا انخفض حضور قداس الأحد بنسبة ٤٠٪ عن خمسينيات القرن العشرين .. ولكنهم هم الذين يواظبون على حضور القداس الأسبوعى ، وكانوا ضعفى هذا العدد قبل جيل من الزمان ! .
- و ٧٠٪ من كاثوليك أمريكا يطلبون السماح باستخدام موانع الحمل ، على خلاف موقف الكنيسة .
- و ٧٠٪ من كاثوليك روما ـ حيث الفاتيكان ـ يوافقون على ممارسة الجنس قبل الزواج ! .

- وكثير من الكنائس الأوربية وغير الأوربية تزوج الشواذ ـ المثليين ـ وبها قساوسة شواذ! . والقوانين التي تحكم الاتحاد الأوربي ـ والتي هي شرط في دخوله ـ تعتبر الشذوذ الجنسي حقاً أصيلاً من حقوق الإنسان . وللشواذ مؤتمرات سنوية ومظاهرات احتفالية تجوب الشوارع والميادين في كثير من المدن الأوربية! .
- ولقد شرّعت حكومة بلدية «بوينس أيرس» ـ عاصمة الأرجنتين الكاثوليكية ـ زواج المثليين! .
- وفي استطلاع أجرته مؤسسة «جالوب» في إبريل سنة ٢٠٠٥م؛ ـ ظهر أن ٧٤٪ من الكاثوليك يتصرفون في المسائل الأخلاقية بناء على ضمائرهم ، على عكس تعاليم الكنيسة . ولا يلتزم بتعاليم الكنيسة ـ في المسائل الأخلاقية ـ سوى ٢٠٪ فقط ! .
- وفي ألمانيا توقف القداس في نحو ثلث كنائس أبرشية «أيسن» بسبب قلة الزوار . . وهناك ١٠,٠٠٠ (عشرة آلاف كنيسة) مرشحة للإغلاق وللبيع لأغراض أخرى! .
- وتفقد الكنائس الألمانية ـ الإنجيلية والكاثوليكية ـ سنويا أكثر من ١٠٠,٠٠٠ (مائة ألف) من أبنائها! .
- وفي إنجلترا ، لا يحضر القداس الأسبوعي سوى مليون فقط! . ولقد صنفت ١٠٪ من كنائسها رسميا باعتبارها زائدة عن

الحاجة ، ومرشحة للبيع مطاعم وملاهي وحتى علبا لليل! . .
وأعلن الكاردينال « كورمسك ميرفي » رئيس الكنيسة الكاثوليكية في إنجلترا وويلز : أن المسيحية أوشكت على الانحسار في بريطانيا ، وأن الدين لم يعد مؤثراً في حياة الناس ! .

- وفي إيطاليا - بلد الفاتيكان - تتحول الكنائس إلى مطاعم وملاهي . . ولقد غنت « مادونا » في كنيسة تاريخية ، بعد أن تحولت إلى مطعم . . وتحول « المذبح » إلى فرن للبيتزا ! . .
- وفي كوبنهاجن - عاصمة الدانمارك - عرضت عشر كنائس للبيع . . وصرح « كاي بولمان » - الأمين العام للكنائس في الدانمارك - : « أنه إذا لم تستعمل الكنيسة للعبادة ، فالأجدر أن تستعمل كاصطبل للخنازير! - في محاولة لحظر بيعها مساجد للمسلمين الدانماركيين - ! . . .
- وفي جمهورية التشيك ، لا يذهب إلى القداس الأسبوعي سوى ٣٪ من السكان . . والاتجاه هو إلى بيع نصف كنائسها الـ ١٠,٠٠٠ بسبب قلة الزوار! . . ولقد بيعت كنيسة القديس ميخائيل - في وسط براغ - والتي يعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر ، وتحولت إلى نادي للعري وموسيقى التكنو ! . .

● ● ●

تلك مؤشرات ـ مجرد مؤشرات ـ على الثمرات المرة والكارثية التى صنعتها العلمانية بالمسيحية فى أوربا . والتى جعلت أوربا فراغاً مسيحياً ، تتمدد فيه مختلف العقائد الدينية الوافدة ، وفى مقدمتها الإسلام . حتى أن المظاهرات تندلع ـ بقيادة الفاشيين والنازيين الجدد ـ والأحزاب اليمينية ـ للتخويف من الإسلام ، ومن أسلمة أوربا . وحتى أن البابا بنديكتوس السادس عشر ـ الذى يصمت صمت الرضا عن هذه المظاهرات الفاشية ـ قد أعلن ـ فى كتابه [بلا جذور] ـ عن « خوفه من أن تصبح أوربا جزءاً من دار الإسلام فى القرن الواحد والعشرين » ! .

- ولقد شخص القس الألمانى ـ عالم الاجتماع ـ « جونفرايد كونزلن » ـ أستاذ اللاهوت الإنجيلى والأخلاقيات الاجتماعية بجامعة القوات المسلحة بميونخ ـ شخص مسئولية العلمانية عن هذه الكارثة التى أصابت المسيحية الغربية ـ فى بحثه عن « العلمانية والدين »[1] ـ فقال :

---

(١) قدم هذا البحث إلى ملتقى الحوار الإسلامى المسيحى ، بالمجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية ـ مؤسسة آل البيت ـ بالأردن ـ فى ٧ - ٩ إبريل سنة ١٩٩٧م . ولقد قمت بالتعليق عليه . . ثم قدمت له ونشرته فى سلسلة التنوير الإسلامى ـ نهضة مصر سنة ١٩٩٩م . بعنوان [مأزق المسيحية والعلمانية فى أوربا : شهادة ألمانية] ـ انظر فيه ص ١٧ ، ١٨ .

● لقد مثلت العلمانية تراجع السلطة المسيحية . . وضياع أهميتها الدينية . . وتحول معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية ، والفصل النهائى بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية . . وسيادة مبدأ : دين بلا سياسة ، وسياسة بلا دين . .

● ولقد نبعت العلمانية من التنوير الغربى . . وجاءت ثمرة لصراع العقل مع الدين ، وانتصاره عليه ، باعتباره مجرد أثر لحقبة من حقب التاريخ البشرى ، يتلاشى باطراد فى مسار التطور الإنسانى . .

● ومن نتائج العلمانية : فقدان المسيحية لأهميتها فقداناً كاملاً . . وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم . . بل وزوال أهميته أيضاً كقوة موجهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس ، وللحياة بشكل عام . . فسلطة الدولة ، وليست الحقيقة ، هى التى تصنع القانون . . وهى التى تمنح الحرية الدينية . .

● ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها دينا حل محل الدين المسيحى ، يفهم الوجود بقوى دنيوية ، هى العقل والعلم . .

● لكن . . وبعد تلاشى المسيحية . . سرعان ما عجزت العلمانية عن الإجابة على أسئلة الإنسان ، التى كان الدين

يقدم لها الإجابات . . فالقناعات العقلية أصبحت مفتقرة إلى اليقين . . وغدت الحداثة العلمانية غير واثقة من نفسها ، بل وتفككت أنساقها - العقلية والعلمية - عدمية ما بعد الحداثة . . فدخلت الثقافة العلمانية فى أزمة ، بعد أن أدخلت الدين المسيحى فى أزمة . . فالإنهاك الذى أصاب المسيحية أعقبه إعياء أصاب كل العصر العلمانى الحديث . . وتحققت نبوءة « نيتشة » [١٨٤٤ - ١٩٠٠ م] عن « إفراز التطور الثقافى الغربى لأناس يفقدون (نجمهم) الذى فوقهم ، ويحيون حياة تافهة ، ذات بعد واحد ، لا يعرف الواحد منهم شيئاً خارج نطاقه » .

وبعبارة « ماكس فيبر » [١٨٦٤ - ١٩٢٠م] : « لقد أصبح هناك أخصائيون لا روح لهم ، وعلماء لا قلوب لهم » ! . .

ولأن الاهتمام الإنسانى بالدين لم يتلاشى ، بل تزايد . . وفى ظل انحسار المسيحية ، انفتح باب أوربا لضروب من الروحانيات وخليط من العقائد الدينية لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالكنيسة - من التنجيم . . إلى عبادة القوى الخفية . . والخارقة . . والاعتقاد بالأشباح . . وطقوس الهنود الحمر . . وروحانيات الديانات الآسيوية . . والإسلام الذى أخذ يحقق نجاحا متزايداً فى المجتمعات الغربية . .

لقد أزالت العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوربا . . ثم عجزت عن تحقيق سيادة دينها العلمانى على الإنسان

الأوربى ، عندما أصبح معبدها العلمى عتيقاً . . فقفد الناس « النجم » الذى كانوا به يهتدون : وَعْد الخلاص المسيحى . . ثم وَعْد الخلاص العلمانى ! »

تلك شهادة خبير فى اللاهوت وفى علم الاجتماع ، على الكارثة التى أحدثتها العلمانية بالمسيحية فى أوربا . .

وسبحان الله ! . . فنحن إذا تأملنا وصف الفيلسوف الألمانى « نيتشة » للإنسان الذى أثمرته هذه العلمانية اللادينية : « إفراز التطور الثقافى الغربى لأناس يفقدون (نجمهم) الذى فوقهم ، ويحيون حياة تافهة ، ذات بعد واحد ، لا يعرف الواحد منهم شيئاً خارج نطاقه » . . فكأننا نقرأ تفسيراً للآية القرآنية التى وصفت الدهريين ، فقالت : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (الروم : ٦ - ٧) .

هكذا صنعت العلمانية الحياة التافهة ، والإنسان ذا البعد الواحد ـ البعد الدنيوى المادى ، الذى لا يعرف شيئاً خارج هذه الدنيوية ولذاتها ـ . . صنعت ـ بعبارة « ماكس فيبر » ـ : الإنسان الأخصائى والخبير الدنيوى الذى لا روح له . . والعلماء الذين فجروا الطاقات المادية ، دون أن تكون لهم قلوب توظف هذه العلوم فى صناعة الإنسان المتوازن ، الذى يحقق حريته بالعبودية لله ! . .

* * *

لكن .. وبعد كل هذا الذى صنعته العلمانية بالمسيحية الأوربية وبالإنسان الغربى .. والتى أثمرت « كنائس خانت مسيحيتها » ـ كما كان يقول شيخنا محمد الغزالى [١٣٣٥-١٤١٦هـ ١٩١٧ - ١٩٩٦م] ـ بعد كل هذا الذى حدث .. وثمراته الكارثية .. تأتى الوثيقة الفاتيكانية ساعية وداعية إلى علمنة الإسلام والمجتمعات الإسلامية .. ومصممة على أن تتجرع ـ نحن المسلمين ـ الكأس المسموم ـ كأس العلمانية ـ الذى أصاب المسيحية الأوربية بالإعياء، وكاد أن يطوى صفحتها من الوجود!.

ففى هذه الوثيقة دعوة صريحة للكنائس الشرقية كى تتحالف مع العلمانيين المسلمين لعلمنة الإسلام والمجتمعات الإسلامية.

- فهى تشكو ـ فى البند ١٠٩ ـ من « أنه لا توجد علمانية فى الدول ذات الغالبية الإسلامية، باستثناء تركيا. فالإسلام هو عادة دين الدولة، والمصدر الرئيسى للتشريع ».
- وفى البند ٢٥ تقول الوثيقة :

« يجب على الكاثوليك أن يعملوا على تقديم أفضل مساهمة فى تعميق مفهوم الدولة العلمانية الإيجابية، وذلك بالاشتراك مع باقى المواطنين المسيحيين، وأيضاً مع المسلمين المفكرين والمصلحين، وبذلك سيساعدون فى تخفيف الصبغة الثيوقراطية (الحكم باسم الله) لبعض الحكومات،

ويعمل على تنمية ديمقراطية سليمة ، علمانية إيجابية . . تميز بين كل من النظام الديني ، والنظام الزمني . . »

وهي ـ الوثيقة ـ تلح على هذا المطلب والمسعى ـ في البند ١٠١ ـ فتقول :

« إنه من المهم أن نشرح معنى العلمانية ، وشرعية « استقلال الواقع الزمني » .

وتنسى الكنيسة الكاثوليكية ـ التي صاغت هذه الوثيقة ، التي تدعو فيها إلى علمنة الإسلام والمجتمعات الإسلامية ـ تنسى حقائق الفوارق الجوهرية الحاسمة بين الإسلام وبين المسيحية . . وبين فلسفة الحكم في الإسلام وفلسفته في الدولة الكهنوتية الكاثوليكية الأوربية ، التي جاءت العلمانية رد فعل لها وثورة عليها . .

- فالإسلام لم يعرف عبر تاريخه ـ لا في الفكر ولا في التطبيق ـ الحكومة الثيوقراطية ، التي تحكم بالتفويض الإلهي ، ونيابة عن السماء . . وإنما عرف نظام الحكم الإسلامي « نظرية الاستخلاف » . . فالأمة ـ وليست الدولة ـ هي المستخلفة عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ في إقامة التشريعات وتطبيقها . . وهذه الأمة هي مصدر السلطات ، التي تختار السلطة والدولة ـ بالشورى والاختيار والبيعة ـ أي بالانتخاب ـ . . فهذه الدولة

ـ السلطة ـ نائبة عن الأمة ـ وليس عن الله ـ . . وهى مسئولة أمام الأمة ، التى تختارها . . وتراقبها . . وتحاسبها . . وتعزلها عن الاقتضاء . . فليس فى الإسلام ـ لا فى الفكر ولا فى التطبيق ـ حكم ثيوقراطى على الإطلاق . . بل لقد مثل الإسلام ثورة ضد هذه الثيوقراطية فى الحكم . . وضد وجود الكهانة ومنصب «رجل الدين» أصلاً ! . .

وإذا كانت فلسفة الحكم الثيوقراطى قد عرفت «اللاهوت» و«الدولة الكهنوتية» ـ حيث لا وجود «للأمة وسلطتها» . .

وإذا كانت فلسفة الحكم العلمانى قد عرفت «الأمة» و«الدولة النائبة عن الأمة» ـ حيث لا وجود للشريعة . .

فإن النظام الإسلامى ، وفلسفته ، قد تميزا عن هذين النظامين ـ الثيوقراطى . . والعلمانى ـ تميزاً جوهريًا ونوعيًا . . إذ عرف النظام الإسلامى ـ وجمع ـ بين «الشريعة الإلهية» . . و«الأمة المستخلفة لإقامة هذه الشريعة» . . و«الدولة المختارة عن الأمة» ، والتى تحكم باسمها ونيابة عنها ، وليس نيابة عن السماء . فالحكم لله فى التشريع . . والحكم للإنسان ـ الذى استخلفه الله ـ لإقامة وتطبيق هذا التشريع . . حتى لقد قال الإمام ابن حزم الأندلسى [٣٨٤ - ٤٥٦هـ ٩٩٤ - ١٠٦٤م] كلمته الجامعة : «إن من حكم الله أن جعل الحكم لغير الله»!

● كذلك غاب عن الذين يسعون - بهذه الوثيقة - وبتحالف الكنيسة مع العلمانيين المسلمين - إلى علمنة الإسلام - الفارق الجوهرى بين الإسلام وبين المسيحية فى ميدان السياسة والدولة وتدبير شئون الاجتماع . .

لقد فصلت المسيحية بين ما لله وبين ما لقيصر . . ووقفت تعاليمها عند ما لله . . وتركت ما لقيصر لقيصر . . وأعلن المسيح - عليه السلام - أن مملكته ليست فى هذا العالم . . وأصبحت رسالة كنيسته الحقيقية محصورة فى خلاص الروح ومملكة السماء .

ومن هنا ، فإذا جاءت العلمانية لتقف بالكنيسة ولاهوتها عند ما لله . . ولتنتزع من هذه الكنيسة ما لقيصر - بعد تجاوزها حدودها واستيلائها عليه فى العصور الأوربية الوسطى والمظلمة - كان ذلك أمراً مشروعاً فى الإطار المسيحى . . فالعلمانية - هنا - ترد الكنيسة إلى حدودها - إلى ما لله ، وخلاص الروح - وتجعل تدبير الدولة والمجتمع إلى القانون الوضعى ، الذى ليس له بديل فى الإنجيل واللاهوت . .

أما الإسلام ، الذى تميز « بنظرية الاستخلاف » - الرافضة للكهنوت الثيوقراطى ، والحكم بالحق الإلهى ، وباسم السماء - فإنه - فى التدابير الاجتماعية والسياسية - ليس مسيحية ، تدع ما لقيصر لقيصر ، وتكتفى بما لله . . وإنما هو منهاج شامل

للدين والدنيا .. للدين والدولة .. للفرد والطبقة والأمة .. للدنيا والأخرة .. للذات والآخر .. إنه الدين الذى يجعل المجتمع والوطن والسياسة والدولة جميعها لله ، تدبرها وتدبرها الدولة ، المستخلفة عن الأمة ، والتى تحكم بما أنزل الله ..

وفى تحديد هذا المنهاج الإسلامى الشامل يقول القرآن الكريم : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام ١٦٢، ١٦٣) . ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة ٤٨) . ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة ٤٩) . ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية:١٨) . ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء:٦٥) . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩) . ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ

ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (النساء: ٨٣) . .

فالإسلام « عقيدة - إيمان » - و « شريعة - منهاج لكل ميادين الحياة » . . وفى التخلى عن « الشريعة » قطع لإحدى رئتى الإسلام . . بل لقد علق القرآن صحة الإيمان على إقامة الشريعة ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ . .

بهذا تميز الإسلام عن المسيحية - التى لم تأت بشريعة . . وإنما وقفت عند « التعاليم » - وبنفى السلطة الدينية - الثيوقراطية . . وهدمها تميز نظام الحكم الإسلامى عن الكهانة الكنسية التى مارستها الكنيسة الكاثوليكية . . والتى ورثتها - لا عن المسيحية - وإنما عن الفرعونية والكسروية - فى التاريخ القديم - !

ولقد أوجز الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] تميز فلسفة الإسلام فى الحكم هذه عن « الثيوقراطية الكنسية » وعن « العلمانية » - كليهما - فقال :

« إن الإسلام لم يعرف تلك السلطة الدينية التى عرفتها أوربا ، فليس فى الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة إلى الخير ، والتنفير عن الشر ، وهى سلطة خولها الله لكل المسلمين ، أدناهم وأعلاهم

والأمة هى التى تولّى الحاكم ، وهى صاحبة الحق فى السيطرة عليه ، وهى تخلعه متى رأت ذلك فى مصلحتها ، فهو حاكم مدنى من جميع الوجوه ، ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط بين الخليفة عند المسلمين ، بما يسميه الإفرنج « ثيوكرتيك » ، أى سلطان إلهى ، فليس للخليفة ـ بل ولا للقاضى أو المفتى أو شيخ الإسلام ـ أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحكام ، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهى سلطة مدنية ، قدرها الشرع الإسلامى ، فليس فى الإسلام سلطة دينية بوجه من الوجوه ، بل إن قلب السلطة الدينية ، والإتيان عليها من الأساس ، هو أصل من أصول الإسلام ..

والإسلام : دين وشرع ، فهو قد وضع حدوداً ، ورسم حقوقاً ، ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضى بالحق ، وصون نظام الجماعة .. والإسلام لم يدع ما لقيصر لقيصر ، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله ، ويأخذ على يده فى عمله ، فكان الإسلام ـ [بذلك] ـ : كمالا للشخص ، وألفة فى البيت ، ونظاما للملك ، امتازت به الأمم التى دخلت فيه عن سواها ممن لم تدخل فيه .. »[1]

---

(١) محمد عبده [الأعمال الكاملة] جـ٣ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ . دراسة وتحقيق دكتور محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م .

.. لـذلك .. فـإن السـعى الفاتيكـانى إلى علمنـة الإسـلام والمجتمعات الإسلامية، هو سعى إلى مسخ الإسلام كى يكون مسيحية، يدع ما لقيصر لقيصر، ويقف عند ما لله! .. ومحاولة للوقوف بالإسلام عند العقيدة والأخلاق، مع استبعاد الشريعة - أى السعى لقطع إحدى رئتى الإسلام!! - ودون ذلك خرق القتاد! ..

* * *

● أما ادعاء الوثيقة الفاتيكانية - فى البند ١١٠ - :

«أن الدولة الإسلامية - فى بعض البلدان - تطبق الشريعة، ليس فقط فى الحياة الخاصة، بل أيضاً فى الحياة الاجتماعية، حتى على غير المسلمين، مما ينتج عنه تجاهل حقوق الإنسان».

فهو ادعاء مليء بالجهل.. وبالافتراء..

فالشريعة الإسلامية لم تنزل للحياة الخاصة وحدها.. وإنما نزلت للحياة الاجتماعية والسياسية أيضاً.. وبعبارة رائد التنوير الحديث رفاعة رافع الطهطاوى:

«ومن أمعن فى كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية؛ حيث بوبوا للمعاملات الشرعية أبواباً مستوعبة للأحكام التجارية، كالشركة، والمضاربة، والقرض، والمخابرة، والعارية، والصلح، وغير ذلك.. ومن المعلوم أن بحر الشريعة الغراء،

على تفرع مشارعه ، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها بالسقى والرى . . ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية ، لا على سبيل التهاون ولا على سبيل الشذوذ ، بل ساوت على مشاعب المذاهب لمجاراة مجريات النوازل والنوائب . . لأنها أصل ، وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع . . فالشرع جامع لأنواع المطلوب ، من المعقول والمنقول ، مع ما اشتمل عليه من بيان السياسات المحتاج إليها فى نظام أحوال الخلق ، كشرع الزواجر المفضية إلى حفظ الأديان والعقول والأنساب والأموال ، وشرع ما يدفع الحاجة على أقرب وجه يحصل به الغرض ، كالبيع والإجارة والزواج وأصول أحكامها ، فكل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لا تثمر العاقبة الحسنى ، فلا عبرة بالنفوس القاصرة الذين حكّموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التى ركنوا إليها تحسيناً وتقبيحاً ، وظنوا أنهم فازوا بالمقصود بتعدى الحدود ، فينبغى تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع ، لا بطرق العقول المجردة ، ومعلوم أن الشرع الشريف لا يحظر جلب المنافع ولا درء المفاسد ، ولا ينافى المتجددات المستحسنة التى يخترعها من منحهم الله تعالى العقل وألهمهم الصناعة . . »[1]

(١) رفاعة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] جـ١ ص ٣٦٩ ، ٥٤٤ وجـ٢ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ . دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م .

تلك هي شمولية الشريعة الإسلامية لكل ميادين الحياة، الخاص منها والعام.. الفردي منها والاجتماعي على حد سواء، وتلك هي أبوابها المفتوحة للجديد والتجديد..

● أما دعوى - الوثيقة الفاتيكانية - تطبيق بعض الدول الإسلامية، هذه الشريعة «على غير المسلمين، مما ينتج عنه تجاهل حقوق الإنسان».. فهي دعوى ظالمة، لا ظل لها من الواقع في أي من ديار الإسلام - لا تاريخيًا.. ولا في هذا العصر الذي نعيش فيه - .. ذلك أن الشريعة الإسلامية لا تطبق على غير المسلمين إلا حيث لا توجد «تعاليم مسيحية».. وذلك في مثل «الميراث» الذي هو بالنسبة للمسيحي «قانون وضعي»، لا بديل له في الإنجيل واللاهوت.. فهو مما تُرك لقيصر..

وكذلك كل أحكام «فقه المعاملات» الإسلامي، الذي هو ثمرة لاجتهاد الفقهاء، المحقق للمصالح المدنية والاجتماعية المعتبرة للأمة، في ضوء ثوابت الشريعة وكلياتها وفلسفتها في التشريع، النابعة من منظومة القيم والأخلاق التي اتفقت فيها وعليها كل ديانات السماء..

إن الشريعة - كما يقول الإمام ابن القيم [٦٩١ - ٧٥١هـ ١٢٩٢ - ١٣٥٠م] هي عدل كلها، وحكمة كلها، ومصلحة كلها..

والسياسة الشرعية هى التدابير التى يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ، وإن لم يشرعها الرسول ولا نزل بها الوحى . . [1]

فوحدة المحكمة ووحدة القانون ـ وكذلك وحدة المدرسة ـ فى المجتمعات الإسلامية ـ بالنسبة لجميع المواطنين ـ لا تمثل جوراً على تعاليم المسيحية وعقائد المسيحيين فى هذه المجتمعات الإسلامية بحال من الأحوال . .

لقد تركت المسيحية ما لقيصر لقيصر ، واكتفت بما لله . . أما الإسلام ، فلقد جمع بين ما لقيصر وما لله . . لكنه خص المسلمين بما جاء فيه لله . . وعمم ما لقيصر ـ الذى تركته المسيحية ـ على كل الأمة والمجتمع والوطن . . فوحد القانون والمحكمة ، دون أن يكون فى ذلك أى افتئات على ما جاء بالمسيحية مما هو لله .

وعن هذه الحقيقة ـ بالغة الأهمية ـ يقول أبو القانون المدنى الحديث فى الشرق الإسلامى ـ القاضى العادل والفقيه الفذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا [١٣١٣ - ١٣٩١هـ ١٨٩٥ - ١٩٧١م] :

---

(١) ابن القيم [إعلام الموقعين عن رب العالمين] جـ٤ ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ . و[الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية] ص١٧ - ١٩ - تحقيق : دكتور جميل غازى ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م .

« إن الإسلام دين ودولة . وهذه حقيقة تغيب عن بعض الباحثين ، فيعتقدون أن الإسلام ليس إلا دينا منزلاً ، ويدفعهم إلى هذا الخطأ تقريب خاطئ ما بين الإسلام والمسيحية ، فالمسيحية أعطت ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر ، ويظنون أن الإسلام كالمسيحية في ذلك ، ولكن الإسلام يختلف عن المسيحية اختلافاً جوهريًا ، فقد جمع ما لله وما لقيصر ، وخص المسلمين بما لله ، وجعل ما لقيصر عاما واجب التطبيق على الكافة مسلمين وغير مسلمين .

والأصل في أحكام الشريعة أنها خطاب لجميع الناس - مسلمين وغير مسلمين - فهي إذن أحكام إقليمية ، إذ هي واجبة التطبيق في دار الإسلام على جميع المقيمين فيها من مسلمين وغير مسلمين . . وذلك باستثناء مسائل قليلة ، هي الزواج ، ونفي المهر ، وتقوّم الخمر والخنزير - تتصل بالعقيدة والدين ، يتركون فيها وما يدينون »[1] .

أي أنه عندما تكون هناك تعاليم دينية مسيحية - مما هو لله - فإن حقوق الإنسان التي قررها الإسلام - منذ ظهوره وحتى الآن - هي التي تقررها القاعدة الشرعية : « يتركون وما يدينون » .

---

(١) دكتور عبد الرزاق السنهوري [إسلاميات السنهوري باشا] جـ٢ ص ٧٠٣ - ٧٠٥ . دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة ، طبعة دار السلام - القاهرة سنة ٢٠١٠م .

ولقد أبصر هذه الحقيقة - التي افترت عليها الوثيقة الفاتيكانية - عقلاء المسيحيين في الشرق الإسلامي، الذين اختار ٦٣٪ منهم - بمصر - تطبيق الشريعة الإسلامية - بما فيها الحدود - في منظومة القوانين المصرية - في استطلاع للرأي العام أجراه «المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية» سنة ١٩٨٥م.[(١)]

هؤلاء العقلاء المسيحيين الذين كتب واحد من مفكريهم ومثقفيهم - هو الأستاذ صادق عزيز - حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على المسيحيين، فيما لا بديل له في الإنجيل - فقال:

«إن مصر دولة إسلامية منذ دخلها الإسلام، ويومها كان المسلمون هم الأقلية، وكان الأقباط هم الأغلبية، ومع ذلك كانت إسلامية، بل إن مصر في تاريخها لم تكن دولة «قبطية» حتى من قبل الإسلام، فهي تقع دائماً تحت الحكم الروماني أو البيزنطي أو المقدوني، أما الحكم القبطي فلم نسمع عنه أبداً..

وفيما عدا الأحوال الشخصية فإن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتعارض إطلاقاً مع المسيحية، وذلك لعدة أسباب، أهمها:

---

(١) [استطلاع الرأي العام في مصر حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جرائم الحدود] ص ٨٤ طبعة المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة سنة ١٩٨٥م.

١- أنه إذا كانت الدولة إسلامية ، فالقوانين الوضعية يجب أن تكون إسلامية ، وعلينا قبول ذلك ، بل والترحيب به ؛ عملا بقول المسيح : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

٢- أن أحكام الشريعة الإسلامية تنطبق فى كثير جداً من الأحوال مع شريعة العهد القديم ، وهى ما جاء المسيح لا لينقضها . . بل ليكملها . .

٣- أن المسيحية لم تأت بأحكام وقوانين وضعية ، عملاً بقول المسيح : « مملكتى ليست فى هذا العالم » ، ومن ثمَّ ترك للحكام أو لقيصر وضع الأحكام الأرضية ، وأمرنا بأن نعطى ما للحكام للحكام »[1] .

فكل حقوق الإنسان المسيحى - حقوق المواطنة وواجباتها - مصانة ومرعية ومقننة . . وكل حقوقه الدينية مصانة ومرعية . .

بل إن المقارنة بين حقوق الأغلبيات المسلمة والأقليات المسيحية - فى عدد من البلاد الإسلامية - تبرز امتيازات المسيحيين على المسلمين ! . . وعلى سبيل المثال :

● فالكنائس مفتوحة على مدار الليل والنهار - بينما المساجد - فى بعض البلاد - تغلق عقب الصلاة .

---

(١) جمال بدوى [الفتنة الطائفية : جذورها وأسبابها . دراسة تاريخية ورؤية تحليلية] ص ١٣٧ - ١٤١ - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م .

- ومنبر الكنيسة حر .. ومنابر المساجد مقيدة بسياسات الحكومات .
- وأوقاف الكنائس والأديرة والجمعيات المسيحية قائمة ومصانة ، تحقق الاستقلال المالي واستقلال القرار لهذه المؤسسات .. بينما الأوقاف الإسلامية - في بعض البلاد - استولى عليها الإصلاح الزراعي ، واستأثرت بها الحكومات .
- والشباب المسيحي حر في ممارسة كل ألوان التدين ، بما في ذلك الرهبنة في الأديرة - التي غدت مؤسسات إقطاعية - بينما القيود مفروضة على اعتكاف بعض الشباب المسلم ليالي في رمضان - في بعض البلاد - ! .. بل إن بعض البلاد الإسلامية قد جعلت إطلاق اللحية لغير العجائز يحتاج إلى تصريح ! .
- وكثير من بطاركة الشرق الإسلامي يمارسون الزعامة السياسية - على خلاف تعاليم الكنيسة واللاهوت - حتى لتوشك كنائسهم أن تكون الواحدة منها « دولة » داخل الدولة .. وأحياناً فوق الدولة .. تمتنع عن الخضوع للقانون وتنفيذ أحكام القضاء ! .. بينما مؤسسات العلم الإسلامي - بحث الدين الشامل منهاجه لكل مناحي الحياة - تقف عند حدود العلم والتعليم والوعظ والإرشاد .. وتكاد أن تترك ما لقيصر لقيصر ، مكتفية ببعض ما لله !! ..

ومع هذا ، تسعى الوثيقة الفاتيكانية لعلمنة الإسلام والمجتمعات الإسلامية ـ وتحكّم الأقلية فى الأغلبية ! .. وتتباكى على حقوق الإسلام المسيحى فى ظل شريعة الإسلام !

* * *

ومما يزيد هذه الدعوة الفاتيكانية إلى علمنة الإسلام والمجتمعات الإسلامية ، غرابة وشذوذاً ، أنها ـ فى الوقت الذى تريد فيه للإسلام التخلى عن الشريعة .. والوقوف عند الشعائر والعبادات ـ تدعو ـ هذه الوثيقة ـ إلى تسييس المسيحية وتديين المسيحيين والمجتمعات التى يعيشون فيها! .

● ففى البند ١٠٢ تقول :

« .. وفى هذه الظروف تقوم مساهمة المسيحى فى أن يقدم ويعيش قيم الإنجيل » .. وهى لا تطلب للمسيحى « أن يعيش قيم الإنجيل » لنفسه وأسرته فقط .. وإنما للمجتمع الذى يعيش فيه .

وبعبارة البندين ٤٦ ، ١١١ :

« فكل مسيحى فى وطنه هو حامل رسالة المسيح لمجتمعه .. وللمسيحى إسهام نوعى لا غنى عنه فى المجتمع الذى يعيش فيه ، ليثريه بقيم الإنجيل ، ولذلك ينبغى على التعليم المسيحى أن يكوّن ، فى الآن نفسه ، مؤمنين مواطنين ، فعالين فى مختلف مجالات المجتمع » .

والوثيقة لا تدع مجالاً للشك فى أنها تريد « التزاما سياسيا بقيم الإنجيل ورسالة المسيح » .. فتقول :

« فالالتزام السياسى الخالى من القيم الإنجيلية هو شهادة مضادة ، ويسبب ضرراً أكثر مما يعمل خيراً » .

وتطلب - هذه الوثيقة الفاتيكانية - فى البند ١٠٨ - هذا « الالتزام السياسى بقيم الإنجيل ورسالة المسيح » من العلمانيين المسيحيين، فتقول :

« وحبذا لو التزم العلمانيون المسيحيون فى المجتمع دائماً أكثر» .

فهى - بهذا - تطلب تديين الالتزام السياسى للمسيحى - الذى تطلب منه مسيحيته أن يدع ما لقيصر لقيصر - وتدعوه للالتزام ، فى السياسة ، بقيم الإنجيل ورسالة المسيح .. بينما تحرم ذلك على المسلم - المؤمن بالدين الشامل للسياسة والدولة والاجتماع والاقتصاد - فإذا راعى هذا المسلم قيم القرآن فى الالتزام السياسى ، سمى ذلك « إسلامًا سياسيًا » و « أسلمة » ، ووضع ذلك فى إطار المخاطر والمحرمات والمحظورات !! ..

بل إن هذه الوثيقة ، التى جعلت عودة المسلمين إلى « إسلام الأصول » - الإسلام الذى حرر المسيحية الشرقية من القهر الرومانى الذى دام عشرة قرون .. والذى حرر أوطان الشرق

وترك شعوبه وما يدينون ، حتى أن نسبة الإسلام بين رعية الدولة الإسلامية ـ بعد قرن من الفتوحات الإسلامية ـ كانت ٢٠٪ فقط لا غير![1]

تعتبر ـ هذه الوثيقة ـ عودة المسلمين إلى « إسلام الأصول » هنا ـ كخيار حضارى ونهضوى ، بديل عن نماذج التحديث الغربية ـ تعتبر ذلك « أصولية » مرذولة .. وفى ذات الوقت تطلب ـ هذه الوثيقة ـ من المسيحيين العودة إلى الأصول والجذور ، فتقول ـ فى البند ٢٩ ـ :

« علينا أن نعود إلى نموذج الجماعة المسيحية الأولى »

فالعودة إلى « إسلام الأصول » : أصولية مرفوضة .. والبعد السياسى للإسلام ـ بمعنى السياسة الشرعية ـ خطر يجب التصدى له .. بينما العودة إلى « نموذج الجماعة المسيحية الأولى » : فريضة فاتيكانية .. والالتزام السياسى المسيحى فى المجتمع بقيم الإنجيل ورسالة المسيح واجبات يدعو إليها الفاتيكان ! ..

---

(١) فيليب فارج ، يوسف كرباج [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص ٥٥ ، ٤٦ ، ٤٧ . ترجمة : بشير السباعى ـ طبعة دار سينا ـ القاهرة سنة ١٩٩٤م

— ٦ —

المسيحية والسياسات الغربية

● في التاريخ الحديث ـ ومنذ غزوة «بونابرت» [١٧٦٩ – ١٨٢١م] لمصر والشرق [١٢١٣هـ ـ ١٧٩٨م] ارتبطت المسيحية ـ الإنجيلية والكاثوليكية ـ في الشرق بالسياسات الغربية للدول الاستعمارية .

● فعندما احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠م ، ذهب الملك «شارل العاشر» [١٧٥٧ – ١٨٣٦م] ـ ملك فرنسا العلمانية! ـ إلى الكنيسة ليشكر الرب .. واستقبله مطران باريس ، وخطب في حضرته فقال :

« إننا نحمد الله على كون الملة المسيحية قد انتصرت نصرة عظيمة على الملة الإسلامية ، ولا زالت كذلك»[١]

وكانت فرنسا العلمانية هذه هي التي عملت على زرع الكاثوليكية في الجزائر ، التي لم يكن بها مسيحي واحد قبل الاحتلال! .. وهي التي حولت عددا من المساجد الجزائرية الكبيرة إلى «كاتيدرائيات»! .. وهي التي خطب قادتها ـ السياسيون والدينيون ـ سنة ١٩٣٠م ـ في الاحتفال بمرور قرن على احتلال الجزائر ، فقال أحد كبار الساسة :

---

(١) رفاعة الطهطاوي [الأعمال الكاملة] جـ٢ ص ٢٩٩ .

« إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرءون القرآن ويتكلمون العربية ، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم ، وأن نقتلع العربية من ألسنتهم »!

وخطب سياسي آخر ، فقال :

« لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة في هذا الوطن ، فلقد قام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون ، ومع ذلك خرجوا منه ، ألا فلتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار »!.

وخطب أحد كرادلة الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية ، فقال :

« إن عهد الهلال في الجزائر قد غبر ، وإن عهد الصليب قد بدأ ، وسيستمر إلى الأبد . وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية مُضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل »![1]

- وقبل استعمار نيجيريا ـ أكبر البلاد الإسلامية الإفريقية ـ وغيرها من المستعمرات الإفريقية ـ لم يكن بهذه المستعمرات

---

(١) دكتور محمود قاسم [الإمام عبدالحميد بن باديس : الإمام الروحي لحرب التحرير الجزائرية] ص ١١ ، ٢٢ طبعة دار المعارف ـ القاهرة . وانظر ـ كذلك ـ كتابنا [من أعلام الإحياء الإسلامي] ص ١٢٤ ، ١٢٥ . طبعة مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٦م .

مسيحى واحد ! . . فـروع الاستعمار الغربـى وسياسات حكوماته المسيحية حيث بلغت جيوش الاستعمار وسياسات المستعمرين الغربيين! . .

- وفى واقعنا المعاصر ، برزت العلاقات العضوية بين الغزو الغربى المعاصر لبلاد الشرق الإسلامى وبين المسيحية ـ كما تؤمن بها الكنائس المسيحية الغربية الكبرى ـ .

* فاليمين الدينى الأمريكى ـ الذى قاد الغزو الغربى للعراق فى مارس سنة ٢٠٠٣م ـ قد أعلن ـ بلسان الرئيس الأمريكى « بوش ـ الصغير » ـ أن الحرب على العراق هى حرب مقدسة ، بمقاييس القديس « أوغسطين » [٣٥٤ - ٤٣٠م] والقديس « توما الأكوينى » [١٢٢٥ - ١٢٧٤م] و« مارتن لوثر » [١٤٨٣ - ١٥٤٦م][1] . . وأن هذه الحرب هى للقضاء على صدام حسين [١٩٣٧ - ٢٠٠٦م] ـ نبوخذنصر بابل ، الذى يهدد إسرائيل ، ويعرقل عودة المسيح ! . .

بل لقد استخرج هذا اللاهوت الكنسى الأمريكى لغزو العراق وتدميره مرجعية من الكتاب المقدس . . فكتب القس « دافيد بريكنر » : إننا نعرف أن تدمير بابل ـ الذى ورد فى الإصحاح ١٨ ـ يعنى تدمير العراق ! . .

---

(١) [نيوزويك] عدد ١١/٣/٢٠٠٣م .

وكتب القس «تشارلز داير» ـ أستاذ اللاهوت في جامعة «دالس» ـ يقول : «إن إصحاح إشعيا ١٣ يشير إلى قيام صدام حسين ، وإلى غزوه للكويت ، وذلك لإقامة قاعدة للهجوم على إسرائيل .. فصدام هو خليفة «نبوخذنصر» [٦٠٥ - ٥٦٢ ق . م] الذي هزم الإسرائيليين وسباهم إلى بابل ، ودمر الهيكل) وذلك بسبب عداء صدام لإسرائيل ، وبسبب نواياه لإعادة بناء بابل»[1].

- وفي ركاب الجيش الأمريكي الغازي للعراق ، وعلى دباباته دخل إلى العراق ثمانمائة منصّر أمريكي «لنشر المسيحية ، لا سيما في بغداد»!..

- ولقد كان «بوش ـ الصغير» ـ القائد العام لقوات الغزو الأمريكي / الغربي للعراق ، يقرأ ـ في المكتب البيضاوي ـ بالبيت الأبيض ـ صباح كل يوم ـ كتاب عظات دينية لقس استرالي كان يحرض الجنود الإنجليز على غزو مدينة القدس سنة ١٩١٧م! .. كما كان يعتقد بأن صراعه مع صدام حسين هو الذي تحدث عنه الإنجيل ـ الصراع بين المسيح والشيطان ـ ! .. ولقد استخرج كلمة «الأشرار» ـ التي وصف بها العراق والدول الخارجة عن الفلك الأمريكي ـ من سفر المزامير ! .. كما أن قيادة الغزو الأمريكي إنما كانت تتم ـ بالبيت الأبيض ـ في «جو من

(١) محمد السماك [الدين في القرار الأمريكي] ص ٤٢ طبعة بيروت سنة ٢٠٠٣م .

الصلاة!![1] بهذا «اللاهوت الإنجيلي» تم الغزو الأمريكي / الغربي للعراق!.

- وفي أفغانستان، التي اجتاحها الأمريكان - مع حلف الناتو - في أكتوبر سنة ٢٠٠١م - زحف عليها المنصرون من كل الكنائس الغربية، بل ومارس جنود الغزو توزيع الأناجيل، وعمليات «اصطياد العقول الأفغانية للمسيحية» - مع اصطياد رقاب الأفغان المقاومين للغزاة! - وقامت كنيسة «صيمول» الكورية الجنوبية - التابعة للكنيسة المشيخية الأمريكية - بدور بارز في عملية تنصير الأفغان!..

هكذا زحف التنصير للمسلمين في ركاب الجيوش الغربية الغازية لعالم الإسلام، في الواقع المعاصر، كما في الغزوات الغربية لإفريقيا والشرق في عصرنا الحديث.. وهكذا ارتبطت المسيحية بالسياسات الاستعمارية طوال هذا التاريخ..

- ولقد تركت هذه الحقيقة انطباعاً واعتقاداً راسخاً لدى الأفارقة والشرقيين: أن المسيحية هي ديانة الغرب الاستعماري والرجل الأبيض.. حتى لقد اعتقد كثير من الأفارقة أن للرجل الأبيض مسيحه الأبيض.. ومن ثم فلابد وأن يكون للسود مسيحهم الأسود!

---

(١) [نيوزويك] عدد ١١/٣/٢٠٠٣م.

أى أن المسيحية قد ارتبطت بالاستعمار الغربى .. وارتبط نشرها والتبشير بها بالغزو الغربى والسياسات الاستعمارية الغربية، منذ مطالع الغزو الغربى للشرق قبل خمسمائة عام!..

● ولقد أصبحت الكنائس الغربية، الساعية إلى زرع المسيحية فى البلاد الإسلامية، تعانى من هذه «العقدة» ـ عقدة ربط المسيحية بالاستعمار، وربط التنصير بقوة السياسات الغربية المهيمنة على النظام الدولى ـ.. الأمر الذى فرض أطواقاً من العزلة على التنصير والمنصّرين، وجعل الذين يقعون فى حبائلهم يبدون ـ فى مجتمعاتهم ـ «خونة» سقطوا في ديانة المستعمرين الغربيين!.. ولقد غدا البحث عن حلول لهذه «العقدة»، والسعى لإقناع ضحايا التنصير ـ فى البلاد الشرقية ـ بفك الارتباط بين النصرانية وبين سياسات الهيمنة الغربية، أصبحت هذه القضية بنداً بارزاً فى جدول أعمال الكنائس الغربية الساعية إلى تنصير المسلمين..

لقد اعترفت وثائق «مؤتمر كولورادو» ـ الذى عقدته الكنائس الأمريكية ـ لتنصير المسلمين ـ فى مايو سنة ١٩٧٨م ـ وهو أخطر مؤتمرات التنصير ـ اعترفت «بحقيقة أن استراتيجية التنصير الأوربية ـ الأمريكية كانت عموما مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقلية الاستعمارية.. ولذلك، فإن المسلم لا ينظر إلى

النصرانية على أنها فقط كُفر دينى ؛ بل إنه يراها نظيرة للاستعمار وللحضارة وللثقافة الغربية »[1]

وللتغلب على « حقيقة ارتباط التنصير بالاستعمار » ، أعلنت وثائق مؤتمر كولورادو عن تبنيها للنفاق والميكيافيلية ، كى توهم الشرقيين بفك الارتباط بين المسيحية وبين السياسات الغربية . فقالت :

« إن الشرط الأساسى لنجاح التنصير هو أن نتوب عن طبيعة علاقاتنا الغربية النصرانية التاريخية والحالية مع العالم الإسلامى ، وإذا لم نخط هذه الخطوة فلن يفيدنا التنصل من مسئوليتنا عن الجرائم البشعة التى ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين ، ولا عن الإرهاب الصهيونى ضد المسلمين ، فالاعتقاد السائد بين المسلمين هو أننا نشترك فى المسئولية عما ارتكبه أسلافنا وحلفاؤنا أبناء جلدتنا إذا لم نشجب تلك الأعمال ونتصرف بطريقة مختلفة عنها » .

---

(١) [التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامى] ـ وثائق مؤتمر كولورادو ـ ص ١٧٠ . طبعة مركز دراسات العالم الإسلامى ـ مالطا ـ سنة ١٩٩١م . وانظر كتابنا [الغارة الجديدة على الإسلام] ص ٥٧ - ٧٠ طبعة نهضة مصر ـ القاهرة سنة ٢٠٠٦ م .

ثم أعلنت ـ هذه الوثائق ـ أن هذه « التوبة » هي ميكيافيلية منافقة ، اقتضتها « ظروف » التنصير ، التي تتطلب « إظهار » فك الارتباط بين النصرانية وبين السياسات الغربية .. فقالت :

« إن الظرفية تلزمنا أن نبدأ العمل وفق شرطهم ـ [شرط الشرقيين] ـ وليس وفق شروطنا ، وبمعنى آخر ، فإن الموقف يتطلب منا أن نرتكب عن عمد أنواعاً من أعمال « الخيانة » لأممنا ومجتمعاتنا »![1].

هكذا حاول المنصرون الأمريكان ـ في مؤتمر كولورادو ـ « إظهار » فك الارتباط بين المسيحية والتنصير ـ وبين السياسات الاستعمارية الغربية .

وجاء الشق الآخر للمسيحية الغربية ـ الكنيسة الكاثوليكية ـ لتحاول ذات المحاولة ـ في هذه الوثيقة الفاتيكانية ـ فادعت أن الغرب ليس مسيحياً ، وإنما هو علماني .. ومن ثمّ فلا وجه لربط المسيحية بالسياسات الغربية تجاه العالم الإسلامي وقضاياه .. فقالت ـ في البند ١٠١ ـ :

« في معظم الأحيان توحّد بلادنا ـ [الشرقية] ـ بين الغرب والمسيحية ، فإذا كان صحيحاً أن الغرب له تقليد مسيحي ، وأن جذوره مسيحية ، فمن الواضح أيضاً أن حكوماته اليوم علمانية ،

---

(١) [التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي] ـ وثائق مؤتمر كولورادو ، ص ١٣٩ ، ٥٥٣ .

ولاتستلهم السياسة الإيمان المسيحى ، بل كثيراً ما تحارب بعض تعبيراته ، لكن العالم الإسلامى لا يفرق بسهولة بين الجانب السياسى والجانب الدينى ، وهذا ما يتسبب فى ضرر كبير لكنائس منطقة الشرق الأوسط ، لأن الرأى العام الإسلامى يتهم فعليا الكنيسة بأية خيارات سياسية للدول الغربية ! .

ونحن نقول : إنه مما لا شك فيه أن أغلبية الدول الغربية هى دول علمانية . لكنها علمانية فى نظمها الاجتماعية والسياسية الداخلية . . مع بقاء « بعد دينى » مسيحى يلعب أدواراً - كبيرة أو صغيرة - فى كثير من الأحيان - رغم علمانية هذه الحكومات الغربية . أما فى سياسات هذه الحكومات الغربية ، تجاه العالم الإسلامى وتجاه الإسلام - حتى فى داخل مجتمعاتها . . فإنها صليبية حتى النخاع ! .

- وإلا فمن الذى زرع المسيحية وكنائسها الغربية فى المجتمعات الشرقية والإسلامية . . أليست هى تلك الحكومات الغربية ؟ .

- وفى ركاب أية سياسات ، وأية جيوش يسير المنصّرون فى العراق وأفغانستان ؟ . . وغيرها من بلاد الإسلام ؟ . . أليس فى ركاب السياسات والجيوش التى تسيّرها هذه الحكومات الغربية ؟ .

- وما هو دور الكنائس الغربية في الصراعات الدموية ، وفي تجارة السلاح بإفريقيا ؟ .. والتي تحقق المصالح الاستعمارية للحكومات الغربية ؟ .

- وما هو دور السياسات الغربية في التدخل بشئون البلاد الإسلامية بحجة الدفاع عن الأقليات المسيحية ؟ .

- وما هو دور السياسات الغربية ـ ومعها سياسة الفاتيكان ـ في التخويف من الإسلام ، وإشاعة أجواء « الإسلاموفوبيا » ؟

- وما هو دور السياسات الغربية ، المستندة إلى المسيحية الصهيونية ، في اغتصاب فلسطين ، وصنع واحدة من كبريات مآسي العصر الحديث؟ .

- ولماذا هذا التطابق بين موقف الفاتيكان من القضية الفلسطينية ، والرافض حتى لمعاداة الصهيونية .. لماذا هذا التطابق بين موقف الكنيسة الجامعة وبين السياسات الاستعمارية الغربية تجاه القضية الفلسطينية ؟ .

- ثم .. إن الشواهد الساطعة تعلن أن السياسات الغربية ـــ وخاصة منذ سقوط الشيوعية وأحزابها وحكوماتها ومعسكرها أوائل سنة ١٩٩١ م ـ قد تعاظمت « اللغة الدينية » في سياسات هذه الحكومات ..

وفي دراسة باللغة الأجنبية نشرتها المجلة الفصلية الرصينة [شئون دولية] International Affairs ــ الصادرة في « كمبردج » ــ بإنجلترا ـ المجلد ٦٧ ـ عدد ١ يناير سنة ١٩٩١م ـ نكتشف الحقائق الكثيرة عن دور الدين في السياسات الغربية ، وتزايد « اللغة الدينية » في تلك السياسات . .

١- « فأوربا ، التي اعتادت أن تعرّف نفسها من خلال تحديد الآخر . . تعرّف نفسها اليوم ـ بعد سقوط الشيوعية ـ من خلال الآخر الإسلامي » .

٢- « ورسوخ الإسلام في المجال السياسي والاجتماعي ، الذي يجعله رافضاً للمبدأ المسيحي/الغربي في الفصل بين ما لله وما لقيصر ، يجعل الإسلام مستعصياً على العلمانية الغربية ، ومن ثمّ هدفا مباشرا للحملة الغربية الجديدة » ! .

٣- « ونحن في وقت يسود فيه انطباع قوي بتضاعف الإشارات إلى المسيحية في السياق الدولي . . الأمر الذي يعكس إلى أي مدى يميل الفكر الغربي إلى جعل الحضارة المسيحية ـ اليهودية الغربية هي الحضارة المهيمنة ، وجعل أفكارها مطلقة ، وليست مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم » .

٤- « . . وإنه من الواضح أن الدين أصبح يقتحم الشئون الدولية بصورة متزايدة ، أو بالأحرى يعيد إدخال نفسه

فيها . . لقد كان فى القرون الماضية يلعب دورا مركزيًا فى العلاقات بين الدول ، وفى حياتها الداخلية ، وهو إن تراجع عن الدور المركزى فى القرن العشرين ، إلا أنه يعود - بعد سقوط الشيوعية - ليقتحم الشئون الدولية بصورة متزايدة » .

٥- « ويصعب أن تكون مصادفة أن الديمقراطيين المسيحيين فى كل بلد أوربى موجودون على الدوام بين أشد أنصار الوحدة الأوربية حماساً ، وأن القادة القوميين الثلاثة الذين أرسوا أسس الاتحاد الأوربى - « كونراد أديناور » [١٨٧٦-١٩٦١م] و « السيد دى جاسبرى » [١٨٨١ - ١٩٥٤م] و « روبرت شومان » [١٨٨٦-١٩٦٣م] - كانوا جميعهم من الديمقراطيين المسيحيين ، ومن الكاثوليك المخلصين » .

٦- « وإن الإشارات إلى المسيحية ، فى سياق دولى ، قد تضاعفت فى وسائل الإعلام الغربية قبيل سقوط الشيوعية سنة ١٩٩٠م » .

٧- « وأن الكنيسة قد لعبت دورا مهما فى إحداث التغيير السياسى فى بولندا وألمانيا الشرقية . . وإلى حد ما فى تشيكوسلوفاكيا . . » .

٨- « وأن دور المنشقين المسيحيين فى مقاومة النظام السوفيتى لم يكن ضعيفا . . ولقد كان مدهشا حقا سرعة

توجه المجتمع إلى الكنيسة الأرثوذكسية في بحث عن البديل الذى يملأ فراغ الأيديولوجية الشيوعية ».

٩- « وبذوبان الستار الحديدى اكتشفنا أوربيين يشاركوننا ميراثنا الحضارى والدينى . . فالتراث المسيحى عنصر مهم فى الثقافة الغربية التى نشترك فيها مع هؤلاء الأوربيين الشرقيين ».

١٠- « وإن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وهى منظمة عبر قومية ، كثيراً ما يدلى رئيسها الروحى ببيانات متكررة تمس العلاقات الدولية ، يرتبط فى كثير منها تعبير « المسيحية » و« أوربا » بصورة وثيقة » .

١١- « وفيما يتعلق بالصدام بين أرمينيا ـ [المسيحية] ـ وأذربيجان ـ [المسلمة] ـ فإن الرواية الأرمينية للأحداث تحظى دوما فى الغرب بمصداقية أكبر من الرواية الأذربيجانية » .

١٢- « ولأن إسرائيل تصنف عادة فى إطار الحضارة اليهودية المسيحية ، فإن امتلاكها للأسلحة النووية لا يثير ما يثيره امتلاك العراق أو إيران لهذه الأسلحة ».

١٣- « والهجرات من شرق أوربا إلى غربها أقل إزعاجاً ، لأن ميراثهم المسيحى سيجعلهم قابلين للاستيعاب ـ فى أوربا الغربية ـ بطريقة لا تتوافر للمهاجرين المسلمين . . وبسبب الميراث الدينى يقوم الاعتراض على قبول تركيا

عضوا كاملاً فى الاتحاد الأوربى ، على عكس دول أوربا الشرقية».

١٤- «إن كل هذه العوامل تدفع أوربا لأن تعرّف نفسها ، ربما ليس من زاوية المسيحية نفسها ، وإنما بالقطع من زاوية التراث المسيحى ، والتركيز بصورة حادة على التمايز والحدود بينها وبين الإسلام»[1]

تلك حقائق عودة المسيحية - وتزايد «اللغة الدينية» فى السياسات الغربية ، وخاصة منذ سقوط الشيوعية ، - كما رصدتها الدراسات الاجتماعية والسياسية الرصينة التى نشرتها مجلة [شئون دولية] بالتزامن مع سقوط الشيوعية ، واتخاذ الغرب - وحلف الأطلنطى - الإسلام عدوا ، حل محل الآخر الشيوعى ، الذى مثل انشقاقا داخل الحضارة الغربية على امتداد سبعين عاماً !.

وهى الحقائق التى أفصحت عنها دراسات لاحقة لمفكرين استراتيجيين أمريكان - مثل «صمويل هنتنجتون» [١٩٢٧ - ٢٠٠٨م] الذى «كشف» عن أن الصراع القادم - بعد سقوط الشيوعية - إنما هو بين الغرب - السياسى والعسكرى - وبين الإسلام وأمته وحضارته !..

---

(١) كتب هذه الدراسة العالمان البريطانيان «إدوارد مورتيمر» - الذى كتب دراسته عن «الإسلام والمسيحية» و«إرنست جيلنر» - الذى كتب دراسته عن «الإسلام والماركسية» - ونشرتهما مجلة [شئون دولية] - فى ملف بالمجلد ٦٧ - عدد ١ يناير سنة ١٩٩١م.

ومثل « فوكوياما » الذى اعتبر انتصار الليبرالية الرأسمالية الغربية على الشيوعية هو « نهاية التاريخ » .. وأن الصراع الغربى مع الإسلام هو « أكثر أساسية من الخطر الذى شكلته الشيوعية » وذلك لرفض الأصولية الإسلامية للحداثة الغربية ، ومبدئها الأساسى : العلمانية التى تمثل المبدأ المسيحى فى الفصل بين ما لله وما لقيصر ! [1]

- ثم .. إن فرنسا العلمانية ، قد أنشأت سنة ٢٠٠٩ م فى وزارة الخارجية قسما جديداً - ضمن دائرة الدبلوماسية الفرنسية - هو قسم « قطب الأديان » .. وأوكلت إدارة هذا القسم - الدينى ! - إلى الأستاذ الجامعى الفرنسى - اللبنانى « جوزيف مايلا » - الذى كان يدير جامعة باريس الكاثوليكية - والذى صرح : بأن فرنسا التى تعودت على فصل الدين عن الدولة منذ قانون سنة ١٩٠٥م قد أخرها ذلك عن مبادرة إنشاء قسم « قطب الأديان » فى الخارجية الفرنسية .. وأنه قد تبين لها أنه لابد من معالجة هذه النواحى الدينية - ومنها الموضوع الإيرانى .. والصراع الفلسطينى الإسرائيلى .. ودور التبت فى مقاومة الهيمنة الصينية .. والزحف الكبير للكنائس الإنجيلية — فى أمريكا اللاتينية .. وإفريقيا ...

---

(١) [نيوزويك] - العدد السنوى - ديسمبر سنة ٢٠٠١ م - فبراير سنة ٢٠٠٢م .

والأرثوذكسية الجديدة . . والتقارب بين الكنيسة الروسية والسلطات الروسية . . وقضايا الشريعة الإسلامية . . وحقوق الإنسان . . والرسوم الكاريكاتورية المسيئة للأديان . . إلخ . . إلخ »[1].

* * *

فهل بعد ذلك الذى قدمناه - وهو مجرد إشارات - على دور الدين - . ودور المسيحية - فى السياسات الغربية ، والعلاقات الغربية الدولية - ومع الإسلام خصوصاً - يجوز لهذه الوثيقة الفاتيكانية أن تخدعنا وتضللنا ، فتقول :

« إن السياسات الغربية علمانية ؛ لا علاقة لها بالمسيحية »!!

---

(١) صحيفة [الحياة] - لندن - فى ١٩/١٠/٢٠٠٩م .

-٧-

الاضطهاد .. والتحريض .. والتدخل الخارجى !

من أخطر ما فى هذه الوثيقة الفاتيكانية : « الروح التى كُتِبت بها » .. و« النتائج الخطرة والكارثية » التى دعت إليها :

● لقد كُتبت بالروح التى صورت المسيحيين بالشرق فى صورة من يعيش فى ظروف من الاضطهاد الذى يماثل وضعهم فى ظل الاحتلال والقهر الرومانى القديم - عندما كانت عقائدهم مجرّمة ومحظورة .. وكنائسهم وأديرتهم مغتصبة .. والرومان يلقونهم إلى النيران وإلى أفواه الأسود !!

- فوطنهم يرزح تحت الاحتلال !! ..

- وهم يعيشون فى ظروف معادية منذ ألفى سنة !! ..

أى أن الإسلام - برأى هذه الوثيقة الفاتيكانية - قد واصل الاحتلال الرومانى للوطن المسيحى .. وواصل المسلمون فرض الظروف المعادية للمسيحيين والمسيحية ، فأصبح عمر هذه الظروف الآن ألفى عام !! ..

أى أنه إذا كان الرومان قد مارسوا احتلال وطن المسيحية ، وفرض الظروف المعادية على المسيحيين الشرقيين ستة قرون .. فإن الإسلام قد صنع ذلك بهم أربعة عشر قرناً !! ..

بهذه الروح . . وبهذا الحد الأقصى من الكذب . . كتبت هذه الوثيقة . . التى قالت ـ فى التقديم[1] ـ :

« إن الوضع الراهن فى الشرق الأوسط يماثل ، فى كثير من الأوجه ، الوضع الذى عاشته الجماعة المسيحية الأولى فى الأراضى المقدسة »! . .

وفى البند ٤ تقول الوثيقة :

« إن جماعة المؤمنين الآن تبكى وتحزن »! . .

وفى البند ١٢٢ تحرض على التمرد « للتحرر من الأشواك التى تخنق كلمة الله وعمل نعمته فينا »!

وتتحدث ـ فى البند ١٢٣ ـ عن « الحاجة إلى مؤمنين يكونون شهودا ، عالمين أن الشهادة للحق يمكن أن تقود إلى الاضطهاد »! . .

وفى البند ١١٧ تدعو إلى أن « نعيش بشجاعة إيمانا ناضجاً ، حتى لو تطلب ذلك منا تضحيات »! . .

ولذلك ، فإن هذه الوثيقة الفاتيكانية تكرر ـ فى البند ١١٩ ـ النداء القديم للجماعة المسيحية الأولى ، التى عاشت تحت قهر الرومان ، والتى دفعها الرومان إلى الإحراق والإغراق وأفراء

---

(١) ص ٤ من الترجمة العربية الرسمية

الأسود . تكرر الوثيقة ذات النداء القديم ، فتقول للمسيحيين الشرقيين المعاصرين - الذين حكمت بأن وطنهم قد احتله المسلمون ، وأنهم الآن يبكون ويحزنون . . تقول الوثيقة : ـ فى البند ١١٩ ـ :

« نستطيع اليوم أيضاً أن نقول لمسيحيي الشرق الأوسط : « لا تخف أيها القطيع الصغير » - لوقا ١٢ : ١٢ - . .

● كذلك تطلب الوثيقة من الكاثوليك الشرقيين - فى مواجهة هذا « الاضطهاد » - الذى رأته مماثلاً للاضطهاد الرومانى القديم - وأطول منه عمراً ! . . ! ـ أن يتحالفوا مع الكنائس الشرقية الأخرى - من الأرثوذكس . . ومع البروتستانت والإنجيليين - فقالت - فى البند ٥ ـ :

« يجب تقوية روابط الشراكة أيضاً مع الكنائس والجماعات الكنسية ، أى الكنائس الأرثوذكسية العريقة ، والجماعات الكنسية التى نشأت من الإصلاح » ! . .

وقالت - فى البند ٨٤ ـ :

« إذ يمكن تحسين العلاقات مع إخوتنا المسيحيين غير الكاثوليك ، أيضاً عن طريق الأنشطة المتاحة محلياً ، مثل الاشتراك فى الأخويات التى تقبل الأعضاء بصرف النظر عن انتمائهم الطائفى . ومع الإدانة الحازمة للاقتناص الذى يستخدم وسائل لا تتفق مع الإنجيل » ! .

● وأخطر من هذه « الصورة السوداء الزائفة » ، التي صنعتها هذه الوثيقة الفاتيكانية لأوضاع المسيحيين الشرقيين ، هو « الباب الخطر . . باب الخيانة » الذي فتحه الفاتيكان أمامهم ، ودعاهم إلى الدخول فيه .

فبدلاً من أن تدعو هذه الوثيقة الأقليات المسيحية الشرقية إلى مناقشة مشكلاتهم في إطار الجماعات الوطنية التي هم جزء لا يتجزأ منها . . والتي يجب أن يندمجوا وينشطوا فيها . . ومن داخل المشاريع النهضوية التي تنهض بشعوبهم - على اختلاف دياناتها - وبواسطة البرامج الإصلاحية للأحزاب والتنظيمات في مجتمعاتهم - بدلاً من ذلك ، دعا الفاتيكان هذه الأقليات المسيحية الشرقية إلى خيانة انتمائها الوطني والقومي والحضاري ، وطلب التدخل الغربي - السياسي والديني - في الشئون الداخلية للأوطان التي يعيشون فيها ! . وعن هذا الأمر الخطير والكارثي ، جاء بهذه الوثيقة الفاتيكانية - في البند ٣٩ - :

« . . ولتدعيم الشروط الضرورية لمثل هذا التطور في العقليات والمجتمع . . يدعو البعض إلى اتخاذ مبادرات سياسية ودينية دولية »!! . .

ولم تقف هذه الوثيقة - في الدعوة إلى طلب التدخل الخارجي - السياسي والديني - في شئون الدول الشرقية ، عند هذا الحد .

وإنما ذهبت ـ بعد أن تحدثت ـ فى البند ٧٦ ـ عن أن « أقدس قضية هى البشارة بالإنجيل فى جميع الخليقة » . . ذهبت إلى أن التبشير بالإنجيل فى المجتمعات الإسلامية يحتاج إلى الاستعانة بالتدخلات الخارجية !! . . فقالت ـ فى البند ١١٦ ـ :

« إن الكرازة بالإنجيل ، فى مجتمع مسلم ، يمكن أن تتم فقط من خلال حياة جماعاتنا ، ولكن الأمر يتطلب أن يتم ضمانها بتدخلات خارجية مناسبة » ـ فى الأوقات المناسبة ـ !!.

هكذا بلغت الوثيقة الفاتيكانية الذروة فى تزييف الصورة المسيحية فى الشرق الإسلامى . . فصورت الإسلام احتلالاً وقهراً واضطهاداً ماثل ما صنعه الرومان ـ قديما ـ بالجماعات المسيحية الأولى . . وزاد فى عمر هذا الاضطهاد وامتد به أربعة عشر قرناً ! . .

وصورت المسيحيين الشرقيين ـ فى المجتمعات الإسلامية ـ الآن ـ وعبر التاريخ الإسلامى ـ فى صورة الذين يعيشون فى ظروف معادية ــ أى بين أعداء ! ــ ولذلك فهم « يبكون ويحزنون » !

وبعد « الشحن والتحريض » دعت إلى تحالف الكنائس المختلفة ـ بمن فى ذلك الإنجيلية التى يعاديها الفاتيكان ـ تحالفهم ضد « العداء .. والأعداء » الذين يعيشون بينهم ! .. وعلقت الآمال فى « التطور » وفى « التبشير بالإنجيل فى

المجتمعات الإسلامية» على التدخلات والمبادرات السياسية والدينية الدولية . . مع اختيار الأوقات المناسبة لهذه «التدخلات الخارجية» . .

ذلك هو الكذب الصراح والبواح في تصوير الوضع المسيحى فى بلاد الشرق الإسلامى - الآن ، وعبر تاريخ العيش المشترك بين الديانات السماوية فى ظل الحضارة الإسلامية . .

وهذه هى «الكارثة . . والخيانة» التى فتحت الوثيقة الفاتيكانية أبوابها الكالحة أمام المسيحيين الشرقيين . .

• • •

ولأننا على يقين من أن عقلاء الطوائف المسيحية فى الشرق الإسلامى - وهم كثيرون والحمد لله - لن يختاروا لطوائفهم «الانتحار» بطلب التدخلات الخارجية فى الشئون الداخلية للمجتمعات التى يعيشون فيها . . ولن يرضوا لأنفسهم وضع الجاليات الأجنبية التى يحميها الغرب الاستعمارى ، ويحركها الفاتيكان . . وإنما سيظلون على موقفهم الوطنى الثابت الساعى إلى حل مشكلاتهم ضمن مشكلات المجتمعات التى يعيشون فيها ، على قاعدة المواطنة التى صاغها الإسلام فى عهد رسوله - عليه الصلاة والسلام - لنصارى نجران ، ولكل من يتدين بالنصرانية ، عبر الزمان والمكان ، قاعدة :

«لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، وعلى المسلمين ما عليهم ، وذلك حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم» . .

● أما افتراءات الوثيقة الفاتيكانية على أوضاع المسيحيين الشرقيين ـ الآن وعبر تاريخ الإسلام ـ فإننا ـ عملا بمنهاج «وشهد شاهد من أهلها» ـ نقدم عددا من الشهادات المسيحية ـ القديمة والحديثة ـ عن التحرير والإنقاذ الإسلامي للمسيحية الشرقية من القهر الروماني الذي هددها بالزوال . . حتى لقد كان الإسلام ـ بحق ـ هو «المنقذ» لهذه المسيحية وأهلها وكنائسها وأديرتها من السحق الروماني والبيزنطي . . الأمر الذي جعل هذه المسيحية ـ بحق ـ «هبة الإسلام» .

نقدم عدداً من هذه الشهادات المسيحية ، التي ترد هذا الافتراء والتزييف الذي صنعته الوثيقة الفاتيكانية لأوضاع المسيحيين الشرقيين :

وأولى هذه الشهادات : هي للأسقف الأرثوذكسي «يوحنا النقيوسي» ـ ثالث رجالات الكنيسة الأرثوذكسية في عصره ـ . . والذي كان شاهد عيان على الفتح الإسلامي الذي حرر مصر ـ والشرق ـ من القهر الروماني والبيزنطي الذي دام عشرة قرون ـ من «الإسكندر الأكبر» [٣٥٦ - ٣٢٣ ق . م] ـ في القرن الرابع

قبل الميلاد ـ وحتى « هرقل » [٦١٠ ـ ٦٤١م] ـ فى القرن السابع للميلاد ـ . .

هذا الفتح الإسلامى ، الذى اعتبره الأسقف يوحنا النقيوسى « إنقاذا إلهيا » للمسيحية الشرقية . لقد شهد النقيوسى الاضطهاد الرومانى للمسيحية الشرقية . . وشهد الحظر الذى فرض عليها ونهب كنائسها وأديرتها . . وهرب بطركها الأنبا « بنيامين » [٣٩هـ ٦٥٩م] من مطاردة الرومان ثلاثة عشر عاماً . . ثم شهد تحرير الفتح الإسلامى لهذه المسيحية الشرقية . ورد كنائسها وأديرتها إلى أهلها . . وعودة بطركها ـ آمنا ـ إلى رعيته . والأفراح التى قامت فى ظلال الفتح الإسلامى . . شهد النقيوسى كل ذلك . . وشهد على هذا الذى شاهده ، فقال :

« إن الله ، الذى يصون الحق ، لم يهمل العالم ، وحكم على الظالمين ، ولم يرحمهم لتجرؤهم عليه ، وردهم إلى أيدى الإسماعيليين ـ [العرب المسلمين] ـ . .

ثم نهض المسلمون ، وحازوا كل مصر . . وكان هرقل حزينا . . وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا فى مصر ، وبأمر الله الذى يأخذ أرواح حكامهم . . مرض هرقل ومات . .

وكان عمرو ـ [بن العاص] ـ يقوى كل يوم فى عمله ، ويأخذ الضرائب التى حددها ، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس ، ولم يرتكب شيئاً ما ، سلبا أو نهباً ، وحافظ عليها طوال الأيام .

ودخل الأنبا «بنيامين» ـ بطريرك المصريين ـ مدينة الإسكندرية، بعد هروبه من الروم فى العام ١٣ - [أى العام الثالث عشر من تاريخ هروبه] ـ وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون: هذا النفى، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس» ـ [البطرك المعين من قبل الدولة الرومانية فى مصر] ـ .

وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر..

وخطب الأنبا «بنيامين» ـ فى «دير مقاريوس» ـ فقال:

«لقد وجدت فى الإسكندرية، زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها الظلمة المارقون»[1]

- لقد شهد الأسقف يوحنا النقيوسى على أن الفتح الإسلامى لمصر كان «إنقاذاً» لها ولمسيحيتها من الاضطهاد والظلم الرومانى..

وسجل ـ على لسان الأنبا «بنيامين» ـ بطريرك الأرثوذكس ـ الذى أمّنه وحرره الفتح الإسلامى ـ أن هذا الفتح قد مثل «زمن

---

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى: رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص ٢٠١، ٢٢٠ ـ ترجمة ودراسة: دكتور عمر صابر عبد الجليل ـ طبعة دار عين ـ القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

وعهد النجاة والطمأنينة بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بها الظلمة المارقون الرومان ! . .

- لكن الوثيقة الفاتيكانية جاءت - لتكذب ، وتزعم أن الفتوحات الإسلامية قد جاءت فامتدت بالاضطهادات والمظالم للمسيحيين الشرقيين أربعة عشر قرناً !! . .

وعفى الله عن مسيلمة الكذاب [١٢هـ ٦٣٣م] الذى كان أكثر تواضعاً - فى كذبه - من الذين صاغوا وثيقة الفاتيكان !!

* * *

وثانى هذه الشهادات : هى للأسقف ميخائيل السريانى - ميخائيل الأكبر [١١٢٦ - ١١٩٩م] - بطريرك أنطاكية اليعقوبى - الذى شهد - بعد خمسة قرون من الفتح الإسلامى . . ومن العيش المشترك بين المسيحيين الشرقيين والمسلمين - شهادته التى تدل على أن عدل الإسلام مع المسيحيين لم يقف عند حقبة الفتح وحكم صحابة رسول الله ﷺ وإنما استمر هذا العدل والإنصاف عبر هذا التاريخ . . شهد الأسقف ميخائيل الأكبر على هذه الحقيقة . . فقال :

« إن إله الانتقام ، الذى تفرد بالقوة والجبروت ، والذى يزيل دولة البشر كما يشاء ، فيؤتيها من يشاء . . لما رأى شرور الروم ، الذين لجئوا إلى القوة ، فنهبوا كنائسنا ، وسلبوا

أديارنا فى كافة ممتلكاتهم ، وأنزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة ، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم . . ولما أسلمت المدن للعرب ، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التى وجدت فى حوزتها . . ولم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام»[1] .

هكذا شهد الأسقف ميخائيل الأكبر صاحب كتاب الحوليات فى تاريخ الكنيسة والشرق ـ على :

- الاضطهاد الرومانى للمسيحية الشرقية .

- والنهب الرومانى لكنائس وأديرة المسيحيين الشرقيين فى كل الممتلكات الرومانية . .

- وعلى الخلاص الذى تحقق لهذه المسيحية الشرقية وأبنائها على يد العرب المسلمين .

- وعلى أن الإسلام قد أحل ـ عبر التاريخ ـ الأمن والسلام محل «القسوة والأذى والحنق والعنف» الذى فرضه الرومان على المسيحيين الشرقيين . .

---

(١) سير توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص ٧٢ ، ٧٣ ـ ترجمة : دكتور حسن إبراهيم حسن . دكتور عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م

● لكن الوثيقة الفاتيكانية جاءت لتكذب على الله والناس والتاريخ . . ولتقول إن المسيحيين الشرقيين لا يزالون يعيشون ـ في ظل التاريخ الإسلامي والواقع المعاصر ـ ذلك الاضطهاد الروماني ، الذي مد الإسلام في عمره أربعة عشر قرناً . . وأنهم لذلك لا يزالون يبكون ويحزنون !! . .

* * *

وثالث هذه الشهادات : هي للعلامة الإنجليزي الحجة سير توماس أرنولد [١٨٦٤ - ١٩٣٠م] ـ صاحب الكتاب «العمدة» [الدعوة إلى الإسلام] . . والذي شهد بأن السماحة الإسلامية مع غير المسلمين قد امتدت حتى عصرنا الحديث . . وأن أوربا ـ بلد الفاتيكان ـ لم تعرف مثل هذه السماحة الإسلامية إلا على أنقاض الكاثوليكية في العصر الحديث! . . لقد شهد أرنولد على ذلك ، فقال :

« إنه من الحق أن نقول : إن غير المسلمين قد نعموا ، بوجه الإجمال ، في ظل الحكم الإسلامي ، بدرجة من التسامح لا تجد لها معادلاً في أوربا قبل الأزمنة الحديثة . .

وإن دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدل على أن الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على يد

المتزمتين والمتعصبين ، كانت من صنع الظروف المحلية ، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح »[1].

وهكذا يبرّئ أرنولد الإسلام - عبر تاريخه - من التعصب .. وأرجع التوترات العابرة التي لا يخلو منها مجتمع .. ولا يبرأ منها تاريخ - إلى شذوذ بعض المتزمتين - لأسباب محلية - عن سماحة الإسلام ..

* * *

ورابع هذه الشهادات : هي الكلمة الجامعة للمستشرق الألماني الحجة « آدم متز »[١٨٦٩-١٩١٧م] - صاحب الكتاب الفذ [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] .. والذي لخص امتياز المسيحيين وامتيازاتهم في التاريخ الإسلامي عندما قال :

« لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام »![2]

فهذا المستشرق الألماني الحجة يقول : إن المسيحيين الشرقيين - طوال تاريخ الإسلام - كانوا هم رجال الإدارة الذين يحكمون بلاد الإسلام .. وتأتي الوثيقة الفاتيكانية فتقول : إنهم طوال هذا التاريخ .. وحتى الآن « يحزنون ويبكون »!! ..

* * *

---

(١) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٤٦١ ، ٤٦٢ .

(٢) آدم متز [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] جـ١ ص ١٠٥ - ترجمة : دكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة - طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م .

وخامس هذه الشهادات : هى للمؤرخ القبطى يعقوب نخلة روفيلة [١٨٤٧ - ١٩٠٥م] ـ صاحب كتاب [تاريخ الأمة القبطية] ـ الذى كتب عن إنقاذ الفتح الإسلامى لمصر ومسيحيتها . وعن إشراك الدولة الإسلامية أهل مصر المسيحيين فى حكم بلادهم لأول مرة فى تاريخ المسيحية الشرقية . وعن عدالة الحكم فى ظلال الدولة الإسلامية . . . فقال :

« ولما ثبت قدم العرب فى مصر ، شرع عمرو بن العاص فى تطمين خواطر الأهلين واستمالة قلوبهم إليه ، واكتساب ثقتهم به ، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه ، وإجابة طلباتهم .

وأول شىء فعله من هذا القبيل : استدعاء « بنيامين » البطريرك ، الذى اختفى من أيام هرقل ملك الروم ، فكتب أمانا وأرسله إلى جميع الجهات ، يدعو فيه البطريرك للحضور ، ولا خوف عليه ولا تثريب . ولما حضر ، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع ، أكرمه ، وأظهر له الولاء ، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته ، وعزل البطريرك الذى كان أقامه هرقل ، ورد « بنيامين » إلى مركزه الأصلى معززا مكرما .

وكان « بنيامين » موصوفا بالعقل والمعرفة والحكمة ، حتى سماه بعضهم « بالحكيم » . وقيل إن عمرو لما تحقق ذلك منه ، قربه إليه ، وصار يدعوه فى بعض الأوقات ويستشيره فى

الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها . وقد حسب الأقباط هذا الالتفات منّةً عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو .

واستعان عمرو فى تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالى ، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كل منها حاكم قبطى ينظر فى قضايا الناس ويحكم بينهم ، ورتب مجالس إبتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوى نزاهة واستقامة ، وعين نوابا من القبط ، ومنحهم حق التداخل فى القضايا المختصة بالأقباط ، والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية . وكانوا بذلك فى نوع من الحرية والاستقلال المدنى ، وهى ميزة كانوا قد جردوا منها فى أيام الدولة الرومانية . .

وضرب [عمرو بن العاص] الخراج على البلاد بطريقة عادلة .. وجعله على أقساط فى آجال معينة ، حتى لا يتضايق أهل البلاد .

وبالجملة ، فإن القبط نالوا فى أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان ..»[1] فالفتح الإسلامى ـ فى هذه الشهادة ـ قد :

ـ حرر الوطن من استعمار وقهر دام عشرة قرون .

---

(١) يعقوب نخلة روفيلة [تاريخ الأمة القبطية] ص ٤٤ - ٤٧ . تقديم : دكتور جودت جبرة . طبعة مؤسسة مارمرقس لدراسة التاريخ ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٠م .

- وحرر المسيحية المصرية ـ التى كانت تعامل كهرطقة محظورة .
- وحرر كنائسها وأديرتها ، وردها إلى أهلها .
- وحرر البطرك المصرى « بنيامين » ـ الذى كان معزولاً ، وهارباً منذ ثلاثة عشر عاماً .. وأمنه .. وأكرمه .. وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته . وعزل البطرك المعين من قبل المستعمر الرومانى .
- وأشرك القبط فى حكم بلادهم ـ لأول مرة منذ الاحتلال الرومانى ـ ونظم لهم ـ من أنفسهم ـ قضاء وطنياً ـ ابتدائياً واستئنافياً ـ يحكم بينهم بشرائعهم الأهلية والدينية .
- وبعد أن كان المصريون يدفعون ـ فى العهد الرومانى ـ أربعة عشرة ضريبة ـ أصبحت ضريبة الخراج عادلة .. وعلى أقساط ، فى مواعيد محددة ، وربطت بوفاء النيل « حتى لا يتضايق أهل البلاد » .
- وتحقق للشعب ـ الذى تحرر وطنه .. وتحررت عقيدته ـ « الحرية والاستقلال المدنى ، وهى ميزة كانوا قد جردوا منها فى أيام الدولة الرومانية » ..

هكذا شهد المؤرخ القبطى ـ يعقوب نخلة روفيلة .. أما وثيقة الفاتيكان فتقول : إن ما حدث إنما صد فى عصر الاضطهاد الرومانى : استمرار الاحتلال .. وبقاء المسيحيين الشرقيين ـ على امتداد التاريخ الإسلامى ـ يحزنون ويبكون !! ..

* * *

وسادس هذه الشهادات : هى للمؤرخ المسيحى المعاصر دكتور جاك تاجر [١٩١٨ - ١٩٥٢م] صاحب كتاب [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م] . وفيها يقول :

« إن الأقباط قد استقبلوا العرب كمحررين ، بعد أن ضمن لهم العرب ، عند دخولهم مصر ، الحرية الدينية ، وخففوا عنهم الضرائب .

ولقد ساعدت الشريعة الإسلامية الأقباط على دخولهم الإسلام ، وإدماجهم فى المجموعة الإسلامية ، بفضل إعفائهم من الضرائب .

أما الذين ظلوا مخلصين للمسيحية ، فقد يسر لهم العرب سبل كسب العيش . . إذ وكلوا لهم أمر الإشراف على دخل الدولة . . » [1]

وإذا كان فى قول جاك تاجر إن الإعفاء من الضرائب قد رغب الأقباط فى اعتناق الإسلام ، ما يعد إهانة للذين تمسكوا بدينهم يوم كان الرومان يحرقونهم ويرمون بهم طعاما للأسود ! . . فإن عددا من أقطار الدولة الإسلامية - وفق إحصاءات المصادر

---

(١) جاك تاجر [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م] طبعة مدينة جرسى - أمريكا - سنة ١٩٨٤م .

الأجنبية - قد ظل ٩٠٪ من سكانها على دياناتهم القديمة بعد مضى قرن على الفتح الإسلامى لهذه الأقطار![1]

. . والمهم هى شهادة جاك تاجر على أن الفتح الإسلامى قد استقبل فى مصر كتحرير لها من الاستعمار والقهر الرومانى .. وأنه ضمن لمصر الحرية الدينية . . وأن الأقباط كانوا يديرون الدولة فى ظل الحكم الإسلامى . . وذلك على عكس الصورة المزيفة والبائسة التى رسمتها وثيقة الفاتيكان .

* * *

وسابع هذه الشهادات : هى للمفكر والمؤرخ المسيحى اللبنانى المعاصر : دكتور جورج قرم . . الذى رصد أسباب التوتر الدينى والطائفى عبر التاريخ الإسلامى ، فبرأ الإسلام وحضارته وتاريخه من التعصب ضد غير المسلمين . . وأرجع أسباب ذلك التوتر العارض والمؤقت إلى تعصب قلة من الحكام . . أو صلف أهل الثروة والإدارة من أبناء الأقليات ! . . أو الغواية الاستعمارية لأبناء هذه الأقليات ، وما أحدثته من ردود أفعال . . فقال :

« إن فترات التوتر والاضطهاد لغير المسلمين فى الحضارة الإسلامية كانت قصيرة ، وكان يحكمها ثلاثة عوامل :

---

(١) [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

العامل الأول : هو مزاج الخلفاء الشخصى ، فأخطر اضطهادين تعرض لهما الذميون وقعا فى عهد المتوكل العباسى [٢٠٦ - ٢٤٧هـ ٨٢١ - ٨٦١م] الخليفة الميال بطبعه إلى التعصب والقسوة . وفى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله [٣٧٥ - ٤١١هـ ٩٨٥ - ١٠٢١م] الذى غالى فى التصرف معهم بشدة - [وكلا الحاكمين عم اضطهادهما قطاعات كبرى من المسلمين] .

العامل الثانى : هو تردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لسواد المسلمين ، والظلم الذى يمارسه بعض الذميين المحتلين لمناصب إدارية عالية ، فلا يعسر أن ندرك صلتهما المباشرة بالاضطهادات التى وقعت فى عدد من الأمصار .

أما العامل الثالث : فهو مرتبط بفترات التدخل الأجنبى فى البلاد الإسلامية ، وقيام الحكام الأجانب بإغراء واستدراج الأقليات الدينية غير المسلمة للتعاون معهم ضد الأغلبية المسلمة . .

إن الحكام الأجانب - بمن فيهم الإنجليز - لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية فى أغلب الأحيان ليحكموا الشعب ويستنزفوه بالضرائب - وهذه ظاهرة نلاحظها فى سوريا أيضاً ، حيث أظهرت أبحاث « جب » و « بولياك » كيف أن هيمنة أبناء الأقليات فى المجال الاقتصادى قد أدت إلى إثارة قلاقل دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين فى دمشق سنة ١٨٦٠م وبين الموارنة والدروز فى جبل لبنان سنة ١٨٤٠م وسنة ١٨٦٠م .

ونهاية الحملات الصليبية قد أعقبتها ، في أماكن عديدة ، أعمال ثأر وانتقام ضد الأقليات المسيحية - ولا سيما الأرمن - التي تعاونت مع الغازي .

بل إن كثيراً ما كان موقف أبناء الأقليات أنفسهم من الحكم الإسلامي ، حتى عندما كان يعاملهم بأكبر قدر من التسامح ، سببا في نشوب قلاقل طائفية ، فعلاوة على غلو الموظفين الذميين في الابتزاز ، وفي مراعاتهم وتحيزهم إلى حد الصفاقة ، أحياناً ، لأبناء دينهم ، ما كان يندر أن تصدر منهم استفزازات طائفية بكل معنى الكلمة »[1].

* * *

تلك سبع شهادات ، لسبعة من الشهود العدول الثقات ، من أعلام الدين والفكر المسيحيين - شرقيين وغربيين - تغطي شهاداتهم تاريخ التعايش المشترك بين المسلمين والمسيحيين في الشرق الإسلامي ، على مر تاريخ الإسلام . .

وهي شهادات تنقض وتدحض هذا الكذب الصراح والبواح الذي جاءت به وثيقة الفاتيكان . . والتي صورت المسيحية الشرقية

---

(١) دكتور جورج قرم [تعدد الأديان ونظم الحكم . دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة] ص ٢١١ - ٢٢٤ - طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م - نقلا عن دكتور سعد الدين إبراهيم [الملل والنحل والأعراق] ص ٧٢٩ ، ٧٣٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م

وأهلها فى ظل الحكم الإسلامى باعتباره الامتداد للاضطهاد والقهر الرومانى القديم ! . .

* * *

لقد تعهد رسول الإسلام ﷺ بحراسة المسيحية والمسيحيين . . وكتب بذلك عهدا دستوريا لنصارى نجران - باليمن - قال فيه :

« . . وأن أحمى جانبهم ، وأذب عنهم ، وأحرس دينهم وملتهم بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتى . . »[1]

ولقد ظل ذلك واقعا مرعيا ، فى الممارسة والتطبيق ، عبر تاريخ الإسلام . . شهد به بقاء الوجود المسيحى فى الشرق الإسلامى . . وشهدت عليه شهادات الشهود الثقاة من المسيحيين الشرقيين والغربيين .

- أما الذين شنوا على الشرق الإسلامى حروبا صليبية دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م] . . وشنوا الحروب الدينية - ضد البروتستانت - فأبادوا فيها عشرة ملايين - أى ٤٠٪ من شعوب وسط أوربا - !!.. وأقاموا محاكم التفتيش ، ثلاثة قرون ، أبادوا فيها الملايين ، بالإحراق والإغراق وعلى « الخازوق المقدس » !! . .

---

(١) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] ص ١٢٣، ١٢٤

كما أبادوا أمما وشعوبا وقبائل وحضارات فى أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا ونيوزيلندة ـ باسم الإنجيل .. وباسم يسوع المسيح ـ !! . . وباركو اختطاف أكثر من أربعين مليونا من الزنوج الأفارقة ، الذين سلسلوا بالحديد ، وشحنوا فى سفن الحيوانات ، لتقوم على دمائهم وعظامهم رفاهية المسيحيين البيض فى أوربا وأمريكا !! . . وشنوا على الشرق الإسلامى ، منذ خمسة قرون ، غزوات التنصير والنهب الاقتصادى ، التى بدأت بالحملة البرتغالية ـ التى قادها سنة ١٤٩٧م ، « فاسكو دى جاما » [١٤٦٩ - ١٥٢٤م] ـ رافعا شعار : « التوابل والمسيح »!! . .

أما هؤلاء ، فليس من حقهم التدخل فى شئون المسيحيين الشرقيين . . الذين يجب أن يكون انتماؤهم الكامل ـ وطنيا وقوميا وحضاريا ـ للحضارة العربية الإسلامية ، التى أسهموا فى بنائها ـ عبر التاريخ ـ والتى لا يزالون يسهمون فى تجديدها حتى هذه اللحظات . فهذه الحضارة هى « كما قال الابن البار للمسيحية الشرقية ـ ميشيل عفلق ـ :

« هى ثقافتهم القومية ، وهى أثمن شىء فى عروبتهم . . وأنه لا شىء يعدل شرف الانتماء إليها . . »

فلنحذر ـ كما يقول عفلق أيضاً ـ « الأفكار الاستعمارية الخاطئة ، التي خلقت تيارا انعزاليا ذا وعي وشعور منحرف ، يسعى للتحالف مع الغرب ضد العروبة والإسلام » . .

* * *

وفي الختام . . علينا أن نتذكر ونذكّر ، بكلمات المفكر القومي والمجدد الإسلامي عبد الرحمن الكواكبي [١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ ١٨٥٤ - ١٩٠٢م] الذي توجه بالحديث إلى المسيحيين الشرقيين ، محذرا إياهم من شباك الغرب الاستعماري ، فقال :

« يا قوم ، وأعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين . . ليقل عقلاؤنا لمثيري الشحناء من الأجانب : دعونا نحن ندبر شأننا ، نتفاهم بالفصحاء ، فنتراحم بالإخاء ، ونتواسى في الضراء ، ونتساوى في السراء . .

إنني أدعوكم ، وأخص منكم النجباء ، للتبصر والتبصير فيما إليه المصير . .

أليس مطلق العربي أخف استحقارا لأخيه من الغربي ؟! .

هذا الغربي قد أصبح ماديا لا دين له غير الكسب ، فما تظاهره مع بعضنا بالإخاء الديني إلا مخادعة وكذبا . .

وما دعواهم الدين في الشرق إلا كما يغرد الصياد وراء الأشباك»!![1]

• • •

إنها الكلمة السواء ، الجامعة لأبناء الشرق الإسلامي ، على اختلاف المذاهب والديانات .. كي لا يقع أحد منهم في شباك الذين أفلسوا .. وانحسرت سلطاتهم في الغرب .. وهرب منهم رعاياهم .. وأخذت كنائسهم هناك تغلق الأبواب لتتحول إلى ملاهي ومطاعم وعلب لليل .. وغرقوا في مستنقعات الفضائح الجنسية .. فجاءوا يلتمسون النفوذ والسلطان على المسيحيين الشرقيين! .. وليتوسلوا إلى هذا النفوذ بهذه الوثيقة الكذوبة ، التي تفتح نفق « الانتحار » أمام الذين يتنكرون لانتمائهم الحضاري ، ويستبدلونه بالولاء لهؤلاء الذين سطروا ما جاء في هذه الوثيقة الفاتيكانية من افتراءات وأكاذيب !؟

(١) عبدالرحمن الكواكبي [الأعمال الكاملة] ص ٢٨٠ ، ٢٨١ - دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة - طبعة دار الشروق - القاهرة - سنة ٢٠٠٧م .

المصادر والمراجع

● القرآن الكريم .

● الكتاب المقدس .

آدم متز : [الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى] ترجمة : دكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة - طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م .

ابن القيم - [إعلام الموقعين عن رب العالمين] طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م . .

[الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية] تحقيق : دكتور جميل غازى - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م .

أرنولد - سيرتوماس : [الدعوة إلى الإسلام] ترجمة : دكتور حسن إبراهيم حسن ، دكتور عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م .

إسرائيل شاحاك : [الديانة اليهودية وموقفها من غيراليهود] ترجمة : حسن خضر - طبعة دار سينا - القاهرة سنة ١٩٩٤م .

دكتور جاك تاجر : [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م] طبعة مصورة - مدينة جرسى - أمريكا - سنة ١٩٨٤م .

جمال بدوى : [الفتنة الطائفية] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٦م .

جوتفرايدكونزلن:[مآزق المسيحية والعلمانية فى أوربا] تقديم: دكتور محمد عمارة ـ طبعة نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٩م.

دكتور جورج بوست: [فهرس الكتاب المقدس] مكتبة العائلة ـ القاهرة.

دكتور جورج قرم: [تعدد الأديان ونظم الحكم] طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م.

دكتور سعد الدين إبراهيم: [الملل والنحل والأعراق] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م.

ستونر ستونرز: [الحرب الباردة الثقافية] ترجمة: طلعت الشايب ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٢م.

الطهطاوى ـ رفاعة رافع ـ: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة ـ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

دكتور عبد الرزاق السنهورى: [إسلاميات السنهورى باشا] دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة ـ طبعة دار السلام ـ القاهرة سنة ٢٠١٠م.

الفاتيكان: [ورقة عمل] لمجمع ـ سينودس الأساقفة ـ حاضرة الفاتيكان سنة ٢٠١٠م ـ الترجمة العربية الرسمية.

[ورقة الخطوط العريضة] سينودس الأساقفة ـ الفاتيكان سنة ٢٠٠٩م.

فيليب فارج ، يوسف كرباج : [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ترجمة : بشير السباعى ـ طبعة دار سينا ـ القاهرة سنة ١٩٩٤م .

الكواكبى ـ عبدالرحمن : [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة ـ طبعة دار الشروق ـ القاهرة سنة ٢٠٠٧م .

مؤتمر كولورادو ـ وثائق : [التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامى] طبعة مركز دراسات العالم الإسلامى ـ مالطا سنة ١٩٩١م .

محمد حميد الله الحيدر آبادى ـ محقق : [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م .

محمد السماك : [الدين فى القرار الأمريكى] طبعة بيروت سنة ٢٠٠٣م .

محمد عبده ـ الأستاذ الإمام : [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة ـ طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م ـ وطبعة دار الشروق ـ القاهرة سنة ٢٠٠٦م .

دكتور محمد عمارة : [الفاتيكان والإسلام] طبعة مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٧م .

[الإسلام والسياسة] طبعة مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٨م .

[الفتنة الطائفية : متى . . وكيف . . ولماذا؟] طبعة مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٩م .

[الغارة الجديدة على الإسلام] طبعة نهضة مصر سنة ٢٠٠٦م.

[من أعلام الإحياء الإسلامى] طبعة مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٦م .

محمد فؤاد عبد الباقى : [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب ـ القاهرة .

دكتور محمود قاسم : [الإمام عبدالحميد بن باديس] طبعة دار المعارف ـ القاهرة .

المركز القومى للبحوث الاجتماعية : [استطلاع الرأى العام فى مصر حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جرائم الحدود] طبعة المركز ـ القاهرة سنة ١٩٨٥م .

ميشيل عفلق : [في سبيل البعث] طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م .

يعقوب نخلة روفيلة : [تاريخ الأمة القبطية] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م .

يوحنا النقيوسى : [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى : رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ترجمة ودراسة : دكتور عمر صابر عبد الجليل ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م .

دوريات

أخبار الأدب ـ القاهرة .
الأسبوع ـ القاهرة .
الأهرام ـ القاهرة .
البديل ـ القاهرة .
البصائر ـ الجزائر .
الحياة ـ لندن
الدستور ـ القاهرة .
شئون دولية ـ لندن .
الشرق الأوسط ـ لندن .
صوت الأمة ـ القاهرة .
العالم الإسلامي ـ مكة .
عقيدتي ـ القاهرة .
لوموند ـ باريس .
المدينة ـ الرياض .
المصري اليوم ـ القاهرة .
منبر الحوار ـ بيروت .
نيوزويك ـ أمريكا .
الهلال ـ القاهرة .
وطني ـ القاهرة .
الوفد ـ القاهرة .

السيرة الذاتية للمؤلف
الدكتور محمد عمارة

أولاً : سيرة ذاتية . . في نقاط :

– مفكر إسلامي . . ومؤلف . . ومحقق . . وعضو «مجمع البحوث الإسلامية» ـ بالأزهر الشريف ـ

– ولد بريف مصر ـ ببلدة «صروة» ، مركز «قلين» محافظة «كفر الشيخ» ـ في (٢٧ من رجب سنة ١٣٥٠هـ الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٣١م) ـ في أسرة ميسورة الحال ـ ماديًا ـ تحترف الزراعة ، وملتزمة دينيًا .

– قبل مولده كان والده قد نذر لله : إذا جاء المولود ذكرًا أن يسميه محمدًا ، وأن يهبه للعلم الديني ـ أي يطلب العلم في الأزهر الشريف ـ

– حفظ القرآن وجوّده بـ «كُتَّاب» القرية . . مع تلقي العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية ـ مرحلة التعليم الإلزامي

– في سنة (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥ م) التحق «بمعهد دسوق الديني الابتدائي» ـ التابع للجامع الأزهر الشريف ـ . ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة (١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م) .

– وفي المرحلة الابتدائية ـ النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين ـ بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلاميّة ، والأدبيّة والثقافية . . فشارك في العمل الوطني ـ قضية استقلال مصر ـ والقضية الفلسطينيّة ـ بالخطابة في المساجد . . والكتابة نثراً وشعراً ـ وكان أول مقال نشرته له صحيفة «مصر الفتاة» بعنوان «جهاد» ـ عن

فلسطين فى أبريل سنة (١٩٤٨م) . وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية . . لكن لم يكتب له شرف الذهاب إلى فلسطين .

- فى سنة (١٩٤٩م) التحق «بمعهد طنطا الأحمدى الدينى الثانوى» ـ التابع للجامع الأزهر الشريف ـ ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) .

- وواصل ـ فى مرحلة الدراسة الثانوية ـ اهتماماته السياسية والأدبية والثقافية . . ونشر شعراً ونثراً فى صحف ومجلات «مصر الفتاة» و«منبر الشرق» و«المصرى» و«الكاتب» . . وتطوع للتدريب على السلاح بعد إلغاء معاهدة (١٩٣٦م) فى سنة (١٩٥١م).

- وفى سنة (١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م) التحق «بكلية دار العلوم» ـ جامعة القاهرة . . وفيها تخرج ، ونال درجة «الليسانس» فى اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، ولقد تأخر تخرجه ـ بسبب نشاطه السياسى ـ إلى سنة (١٩٦٥) بدلاً من سنة (١٩٥٨م) .

- وواصل ـ فى مرحلة الدراسة الجامعية ـ نشاطه الوطنى والأدبى والثقافى . . فشارك فى «المقاومة الشعبية» بمنطقة قناة السويس ، إبان مقاومة الغزو الثلاثى لمصر سنة (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) . .

- ونشر المقالات فى صحيفة «المساء» ـ المصرية ـ ومجلة «الآداب» ـ البيروتية ـ وألّف ونشر أول كتبه عن «القومية العربية» سنة (١٩٥٨م) .

– وبعد التخرج فى الجامعة أعطى كل وقته - تقريباً - وجميع جهده لمشروعه الفكرى ، فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة : رفاعة رافع الطهطاوى .. وجمال الدين الأفغانى .. ومحمد عبده .. وعبد الرحمن الكواكبى .. وعلى مبارك .. وقاسم أمين .. وكتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامى .. مثل : الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا .. والشيخ محمد الغزالى .. وعمر مكرم .. ومصطفى كامل .. وخير الدين التونسى .. ورشيد رضا .. وعبدالحميد بن باديس .. ومحمد الخضر حسين .. وأبى الأعلى المودودى .. وحسن البنا .. وسيد قطب .. والشيخ محمود شلتوت .. والبشير الإبراهيمى .. إلخ

– ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم : عمر بن الخطاب ، وعلى ابن أبى طالب ، وأبو ذر الغفارى ، وأسماء بنت أبى بكر .. كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامى - القديمة والحديثة - وعن أعلام التراث الإسلامى ، مثل : غيلان الدمشقى .. والحسن البصرى .. وعمرو ابن عبيد .. والنفس الزكية : محمد بن الحسن ، وعلى بن محمد ، والماوردى ، وابن رشد (الحفيد) ، والعز بن عبد السلام .. إلخ .

– وتناولت كتبه - التى تجاوزت المائتين - السمات المميزة للحضارة الإسلامية .. والمشروع الحضارى الإسلامى .. والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية .. وتيارات العلمنة والتغريب .. وصفحات العدل الاجتماعى الإسلامى .. والعقلانية الإسلامية .

– وحاور وناظر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة .

- وحقق عدداً من نصوص التراث الإسلامي ـ القديم منه والحديث .

- وكجزء من عمله العلمي ومشروعه الفكري حصل ـ من كلية دار العلوم ـ في العلوم الإسلامية ـ تخصص الفلسفة الإسلامية ـ على الماجستير سنة (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ، بأطروحة عن « المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية » . . وعلى الدكتوراه سنة (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) ، بأطروحة عن « الإسلام وفلسفة الحكم » .

- وأسهم فى تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة . . وشارك فى العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية فى وطن العروبة وعالم الإسلام وخارجهما . . كما أسهم فى تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامة مثل : « موسوعة السياسة » ، و« موسوعة الحضارة العربية » ، و« موسوعة الشروق » ، و« موسوعة المفاهيم الإسلامية » ، و« الموسوعة الإسلامية العامة » ، و« موسوعة الأعلام » . . . إلخ .

- نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية ؛ منها : « المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية » ـ بمصر ، و« المعهد العالمى للفكر الإسلامى » ـ بواشنطن ، و« مركز الدراسات الحضارية » ـ بمصر ، و« المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية » ـ مؤسسة آل البيت ـ بالأردن ، و« مجمع البحوث الإسلامية » ـ بالأزهر الشريف . .

- وحصل على عدد من الجوائز والأوسمة.. والشهادات التقديرية.. والدروع.. منها: «جائزة جمعية أصدقاء الكتاب» - بلبنان - سنة (١٩٧٢م).. وجائزة الدولة التشجيعية - بمصر - سنة (١٩٧٦م).. ووسام العلوم والفنون - من الطبقة الأولى - بمصر - سنة (١٩٧٦م) وجائزة على وعثمان حافظ، لمفكر العام، سنة (١٩٩٣م).. وجائزة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، سنة (١٩٩٧م). ووسام التيار القومي الإسلامي - القائد المؤسس - سنة (١٩٩٨م).. وجائزة مؤسسة أحمد كانو - للدراسات الإسلامية - بالبحرين - سنة (٢٠٠٥م).

- وجاوزت أعماله الفكرية - تأليفاً وتحقيقاً - مائتي كتاب، وذلك غير ما نشر له في الصحف والمجلات.

- وترجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية، مثل: التركية، والماليزية، والفارسية، والأوردية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، والألمانية، والألبانية، والبوسنية.

- الاسم - رباعيًا: محمد عمارة مصطفى عمارة.

- العنوان: جمهورية مصر العربية - القاهرة - هاتف ٢٢٠٥٥٦٦١ - فاكس ٢٢٠٥٥٦٦٢.

* * *

ثانياً: ثبت بأعماله الفكرية:

- في دار الشروق:

١- معالم المنهج الإسلامي.

٢- الإسلام والمستقبل .

٣- العلمانية ونهضتنا الحديثة .

٤- الإسلام وفلسفة الحكم .

٥- معركة الإسلام وأصول الحكم ـ دراسة وتحقيق .

٦- الإسلام والفنون الجميلة .

٧- الإسلام وحقوق الإنسان : ضرورات لا حقوق .

٨- الإسلام والثورة .

٩- الإسلام والعروبة .

١٠- الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية .

١١- هل الإسلام هو الحل؟؟ لماذا .. وكيف ؟

١٢- سقوط الغلو العلماني .

١٣- الغزو الفكرى وهم أم حقيقة؟

١٤- الطريق إلى اليقظة الإسلامية .

١٥- تيارات الفكر الإسلامى .

١٦- الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى

١٧- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية .

١٨- عندما أصبحت مصر عربية إسلامية .

١٩- العرب والتحدى .

٢٠- مسلمون ثوار .

٢١- التفسير الماركسى للإسلام .

٢٢- الإسلام بين التنوير والتزوير .

٢٣- التيار القومى الإسلامى .

٢٤- الإسلام والأمن الاجتماعى .

٢٥- الأصولية بين الغرب والإسلام .

٢٦- الجامعة الإسلامية والفكرة القومية .

٢٧- عمر بن عبد العزيز : ضمير الأمة وخامس الراشدين .

٢٨- جمال الدين الأفغانى : موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام .

٢٩- محمد عبده : تجديد الدنيا بتجديد الدين .

٣٠- عبد الرحمن الكواكبى : شهيد الحرية ومجدد الإسلام .

٣١- أبو الأعلى المودودى والصحوة الإسلامية .

٣٢- رفاعة الطهطاوى : رائد التنوير فى العصر الحديث .

٣٣- على مبارك : مؤرخ ومهندس العمران .

٣٤- قاسم أمين : تحرير المرأة والتمدن الإسلامى

٣٥- التحرير الإسلامى للمرأة : الرد على شبهات الغلاة .

٣٦- الإسلام فى عيون غربية : بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء

٣٧- الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية .

٣٨- فى فقه الصراع على القدس وفلسطين .

٣٩- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ـ دراسة وتحقيق .

٤٠- الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبى ـ دراسة وتحقيق .

٤١- الأعمال الكاملة لقاسم أمين ـ دراسة وتحقيق .

٤٢- رسالة التوحيد ـ دراسة وتحقيق .

٤٣- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ـ دراسة وتحقيق .

٤٤- رسائل العدل والتوحيد ـ دراسة وتحقيق .

٤٥- ابن رشد : دراسات ونصوص ـ قيد الإعداد .

٤٦- الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى ـ قيد الطبع ـ دراسة وتحقيق .

٤٧- الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ـ قيد الطبع ـ دراسة وتحقيق .

٤٨- الأعمال الفكرية لعلى مبارك ـ قيد الطبع ـ دراسة وتحقيق.

- فى مكتبة الشروق الدولية :

٤٩- الغرب والإسلام : أين الخطأ وأين الصواب؟

٥٠- مقالات الغلو الدينى واللادينى .

٥١- الخطاب الدينى بين التجديد الإسلامى والتبديد الأمريكانى.

٥٢- الإسلام والأقليات : الماضى والحاضر والمستقبل .

٥٣- الإسلام والآخر : مَنْ يعترف بمن ومَنْ ينكر من ؟

٥٤- فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام .

٥٥- فى فقه الحضارة الإسلامية .

٥٦- فى المسألة القبطية ـ حقائق وأوهام .

٥٧- مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية .

٥٨- إحياء الخلافة الإسلامية : حقيقة أم خيال؟

٥٩- الإسلام والحرب الدينية .

٦٠- العطاء الحضارى للإسلام .

٦١- الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر .

٦٢- من أعلام الإحياء الإسلامى .

٦٣- الفاتيكان والإسلام : أهى حماقة أم عداء له تاريخ ؟

٦٤- التراث والمستقبل .

٦٥- معارك العرب ضد الغزاة .

٦٦- الفتنة الطائفية : متى . . وكيف . . ولماذا؟

٦٧- الأنبياء فى القرآن الكريم والكتاب المقدس .

٦٨- التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ .

- سلسلة : (هذا هو الإسلام) :

٦٩- الدين والحضارة . . عوامل امتياز الإسلام

٧٠- السماحة الإسلامية . . حقيقة الجهاد . . والقتال . . والإرهاب

٧١- احترام المقدسات ، خيرية الأمة . . عوامل تفوق الإسلام

٧٢- الموقف من الديانات الأخرى . . الدين والدولة .

٧٣- الموقف من الحضارات الأخرى أسباب انتشار الإسلام .

٧٤- قراءة النص الدينى بين التأويل الغربى والتأويل الإسلامى.

٧٥- الإسلام والسياسة : الرد على شبهات العلمانيين .

٧٦- الإسلام والتعددية : التنوع والاختلاف فى إطار الوحدة .

٧٧- مفهوم الحرية فى مذاهب الإسلاميين .

- فى نهضة مصر :

٧٨- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام .

٧٩- الوسيط فى المذاهب والمصطلحات .

٨٠- القدس الشريف : رمز الصراع وبوابة الانتصار .

٨١- الإصلاح بالإسلام .

٨٢- الإسلام والتحديات المعاصرة .

٨٣- الإسلام فى مواجهة التحديات .

٨٤- الاستقلال الحضارى .

٨٥- الغارة الجديدة على الإسلام .

٨٦- مقام العقل فى الإسلام .

٨٧- الفريضة الغائبة : حوار مع ثقافة العنف .

٨٨- الانتماء الحضارى : للغرب أم الإسلام ؟

- سلسلة : (فى التنوير الإسلامى) :

٨٩- الصحوة الإسلامية فى عيون غربية .

٩٠- الغرب والإسلام .

٩١- أبو حيان التوحيدى .

٩٢- ابن رشد بين الغرب والإسلام .

٩٣- الانتماء الثقافى .

٩٤- التعددية : الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية .

٩٥- صراع القيم بين الغرب والإسلام .

٩٦- دكتور يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى

٩٧- عندما دخلت مصر فى دين الله .

٩٨- الحركات الإسلامية : رؤية نقدية .

٩٩- المنهاج العقلى فى دراسات العربية .

١٠٠- النموذج الثقافى .

١٠١- تجديد الدنيا بتجديد الدين .

١٠٢- الثوابت والمتغيرات في اليقظة الإسلامية الحديثة .
١٠٣- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم .
١٠٤- التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي؟
١٠٥- إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .
١٠٦- الحضارات العالمية : تدافع أم صراع ؟
١٠٧- الحملة الفرنسية في الميزان .
١٠٨- الأقليات الدينية والقومية : تنوع ووحدة ، أم تفتيت واختراق؟
١٠٩- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية .
١١٠- الغناء والموسيقى : حلال أم حرام ؟
١١١- هل المسلمون أمة واحدة؟
١١٢- السنة والبدعة ـ للشيخ الخضر حسين ـ دراسة وتقديم .
١١٣- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ـ للشيخ الخضر حسين ـ دراسة وتقديم .
١١٤- تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة .
١١٥- مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا (شهادة ألمانية).
١١٦- السنة النبوية والمعرفة الإنسانية .
١١٧- الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين .
١١٨- مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية .
١١٩- السنة التشريعية وغير التشريعية ـ مجموعة دراسات .
١٢٠- شبهات حول الإسلام .
١٢١- المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية .

١٢٢- شبهات حول القرآن الكريم .

١٢٣- أزمة العقل العربى .

١٢٤- فى التحرير الإسلامى للمرأة .

١٢٥- روح الحضارة الإسلامية - للشيخ ابن عاشور - دراسة وتقديم .

١٢٦- الغرب والإسلام : افتراءات لها تاريخ .

١٢٧- السماحة الإسلامية

١٢٨- الشيخ عبد الرحمن الكواكبى : هل كان علمانيًا؟

١٢٩- أزمة الفكر الإسلامى المعاصر

١٣٠- إسلامية المعرفة : ماذا تعنى؟

١٣١- الإسلام وضرورة التغيير

١٣٢- النص الإسلامى بين التاريخية والاجتهاد والجمود .

١٣٣- الإبداع الفكرى والخصوصية الحضارية

١٣٤- صلة الإسلام بإصلاح المسيحية - للشيخ أمين الخولى - دراسة وتقديم .

١٣٥- عن القرآن الكريم - للشيخ أمين الخولى - دراسة وتقديم.

١٣٦- الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده - دراسة وتحقيق .

١٣٧- الإصلاح الدينى فى القرن العشرين - الشيخ المراغى نموذجاً .

١٣٨- فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين .

١٣٩- اجتهاد الرسول وقضاؤه وفتواه - للشيخ جاد الحق على جاد الحق - دراسة وتقديم .

١٤٠- شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام .

١٤١- السلفية : واحدة .. أم سلفيات ؟

- فـى مكتبـة الإمـام البخـارى : سلسـلة (إن أريـد إلا الإصلاح ما استطعت) :

١٤٢- رفع الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية .

١٤٣- الفارق بين الدعوة والتنصير .

١٤٤- علمانية المدفع والإنجيل .

١٤٥- صيحة نذير من فتنة التكفير .

١٤٦- مقومات الأمن الاجتماعى فى الإسلام .

١٤٧- فى النظام السياسى الإسلامى : الخلافة والدولة المدنية .

١٤٨- أضواء على الموقف الشيعى من الصحابة .

١٤٩- بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية .

١٥٠- القدس : أمانة عمر فى انتظار صلاح الدين .

١٥١- القرآن يتحدى .

١٥٢- تحرير المرأة بين الغرب والإسلام .

١٥٣- فى فقه المصطلحات .

١٥٤- طريق جارودى إلى الإسلام .

١٥٥- سلامة موسى : اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية ؟

١٥٦- الجديد فى المخطط الغربى تجاه المسلمين .

١٥٧- الحضارات العالمية : واحدة أم حضارات ؟

- فى المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية :

١٥٨- أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر .

١٥٩- شبهات وإجابات حول القرآن الكريم .

١٦٠- شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام (ج ١، ٢، ٣)

١٦١- فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية .

١٦٢- دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الديني ـ وزارة الأوقاف ـ بالاشتراك مع آخرين .

١٦٣- الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت .

١٦٤- حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين .

١٦٥- السلف والسلفية .

- فى مجمع البحوث الإسلامية :

١٦٦- ملاحظات علمية على كتاب المسيح فى الإسلام ـ ملحق مجلة الأزهر ـ شهر صفر سنة (١٤٢٧هـ) .

١٦٧- رد الأزهر على كتاب ما هى حتمية كفارة المسيح ـ ملحق مجلة الأزهر ـ شهر ربيع الأول سنة (١٤٢٦هـ) .

١٦٨- الرد على كتاب فصل الخطاب فى تاريخ قتل ابن الخطاب

١٦٩- تقرير علمى ـ في الرد على المنصرين .

- فى دار المعارف :

١٧٠- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ـ لابن رشد ـ دراسة وتحقيق .

- بالاشتراك مع آخرين :

١٧١- قارعة سبتمبر ـ مكتبة الشروق الدولية سنة (٢٠٠٢م) .

١٧٢- الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية - الكويت سنة (١٩٨٩م)

١٧٣- القرآن - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٢م) .

١٧٤- محمد - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٢م)

١٧٥- عمر بن الخطاب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٣م) .

١٧٦- على بن أبى طالب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٤م) .

١٧٧- السنة والشيعة : وحدة الدين وخلاف السياسة والتاريخ - مكتبة النافذة سنة (٢٠٠٨م) .

- كتب نفدت . . وأدمج بعضها فى كتب أخرى :

١٧٨- فجر اليقظة القومية - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م) .

١٧٩- العروبة فى العصر الحديث - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م)

١٨٠- الأمة العربية وقضية الوحدة - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م) .

١٨١- ثورة الزنج - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٠م) .

١٨٢- دراسات فى الوعى بالتاريخ - دار الوحدة بيروت سنة (١٩٨٠م) .

١٨٣- الإسلام وقضايا العصر - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م)

١٨٤- التراث فى ضوء العقل ـ دار الوحدة ـ بيروت سنة (١٩٨٤م) .
١٨٥- الفريضة الغائبة : عرض وحوار وتقييم ـ دار الوحدة ـ بيروت سنة (١٩٨٣م) .
١٨٦- الإسلام والسلطة الدينية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة (١٩٨٠م) .
١٨٧- الإسلام والوحدة القومية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة (١٩٧٩م) .
١٨٨- الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية ـ دار ثابت ـ القاهرة سنة (١٩٨٢م) .
١٨٩- الإمام محمد عبده : مشروع حضارى للإصلاح بالإسلام ـ مكتبة الإسكندرية سنة (٢٠٠٥م) .
١٩٠- محمد عبده : سيرته وأعماله ـ دار القدس ـ بيروت سنة (١٩٧٨م) .
١٩١- نظرة جديدة إلى التراث ـ دار قتيبة ـ دمشق سنة (١٩٨٨م) .
١٩٢- القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب ـ دار الفكر ـ القاهرة سنة (١٩٥٨م) .
١٩٣- ظاهرة القومية فى الحضارة العربية ـ الكويت سنة (١٩٨٣م) .
١٩٤- رحلة فى عالم الدكتور محمد عمارة ـ حوار ـ دار الكتاب الحديث ـ بيروت سنة (١٩٨٩م) .
١٩٥- نظرية الخلافة الإسلامية ـ دار الثقافة الجديدة سنة (١٩٧٨م) .

١٩٦- العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب - دار الثقافة الجديدة سنة (١٩٧٨م) .

١٩٧- الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب - دار الثقافة الجديدة سنة (١٩٧٨م) .

١٩٨- إسرائيل : هل هى سامية ؟ - دار الكاتب العربى - سنة (١٩٦٧م)

١٩٩- الإسلام وأصول الحكم - دراسات ووثائق - المؤسسة العربية - بيروت سنة (١٩٧٢م) .

٢٠٠- الدين والدولة - الهيئة العامة للكتاب - سنة (١٩٩٧م) .

٢٠١- المواجهة بين الإسلام والعلمانية - مناظرة - دار الآفاق الجديدة - القاهرة سنة (١٤١٣هـ) .

٢٠٢- تهافت العلمانية - مناظرة - دار الآفاق الجديدة - القاهرة سنة (١٤١٣هـ) .

٢٠٣- الشيخ الشهيد أحمد ياسين وفقه الجهاد على أرض فلسطين - مركز الإعلام العربى سنة (٢٠٠٤م) .

٢٠٤- المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد - دار المعارف سنة (١٩٨٣م) .

٢٠٥- الفكر القائد للثورة الإيرانية - دار ثابت سنة (١٩٨٢م) .

- فى دار السلام :

٢٠٦- المشروع الحضارى الإسلامى .

٢٠٧- شخصيات لها تاريخ .

٢٠٨- قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية .

٢٠٩- كتاب الأموال - لأبى عبيد القاسم بن سلام - دراسة وتحقيق .

٢١٠- الشيخ محمد الغزالى : الموقع الفكرى والمعارك الفكرية .

٢١١- إزالة الشبهات عن معانى المصطلحات .

٢١٢- الدكتور عبد الرزاق السنهورى : إسلامية الدولة والمدنية والقانون .

٢١٣- أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر .

٢١٤- فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية .

٢١٥- إسلاميات السنهورى باشا .

٢١٦- مقال فى السنن الإلهية - الكونية والاجتماعية .

٢١٧- الحل الإسلامى لأزمة الرأسمالية العالمية .

٢١٨- الوعى بالتاريخ وصناعة التاريخ .

٢١٩- جمال الدين الأفغانى بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض .

٢٢٠- المنهج الإصلاحى للإمام محمد عبده .

٢٢١- معالم المشروع الحضارى فى فكر الإمام الشهيد حسن البنا .

٢٢٢- محمد ﷺ المصطفى المعصوم بشر يوحى إليه .

٢٢٣- حقائق وشبهات حول القرآن الكريم .

٢٢٤- حقائق وشبهات حول السنة النبوية .

٢٢٥- حقائق وشبهات حول السماحة الإسلامية وحقوق الإنسان .

٢٢٦- حقائق وشبهات حول مكانة المرأة فى الإسلام .

٢٢٧- حقائق وشبهات حول معنى النسخ فى القرآن الكريم .

٢٢٨- حقائق وشبهات حول السنة والشيعة .

٢٢٩- حقائق وشبهات حول الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب .

٢٣٠- المؤسسية والمؤسسات فى الحضارة الإسلامية .

٢٣١- رد افتراءات الجابرى على القرآن الكريم .

- في مكتبة وهبة :

٢٣٢- من يحمى المسيحيين العرب .. الإسلام أم الفاتيكان ؟

٢٣٣- في الرد على كتب الضلال .

- كتب قيد الإعداد :

٢٣٤- حقائق وشبهات حول الغزوات والفتوحات الإسلامية .

٢٣٥- حقائق وشبهات حول المعاملات المصرفية .

٢٣٦- نقد الفكر الدينى (الشيعة نموذجاً) .

٢٣٧- الغرب والشرق : تاريخ من الغزو والنهب والغواية والتغريب .

الفهرس



من يحمي المسيحيين العرب..
الإسلام... أم الفاتيكان؟؟

- قبل الإسلام، قهر الرومان الشرق عشرة قرون.. وجاءت الفتوحات الإسلامية فحررت الأوطان والضمائر والمقدسات..
- وأعلن بطرك الأقباط «بنيامين»: أن الفتح الإسلامي قد حقق «النجاة والطمأنينة، وأزال المظالم والاضطهادات».. وصدق على شهادته الأسقف «يوحنا النقيوسي».. والبطرك السرياني ميخائيل الأكبر.
- وفي العصر الحديث شهد عشرات المستشرقين على هذه الحقيقة.. فقال العلامة الإنجليزي «آرنولد»: «إن الحرية التي حققها الإسلام لم تعرفها أوربا إلا في العصر الحديث».. وقال الألماني «آدم متز»: «لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام»..
- لكن الفاتيكان.. الذي سقطت كنائسه في الشذوذ الجنسي مع الأطفال. جاء ليزعم:
- أن نصارى الشرق لا يزال وطنهم محتل!.. وهم يبكون ويحزنون!..
- كما أعلن خيانته للقضية الفلسطينية، بتسمية الضفة الغربية «يهودا والسامرة»!.. وأدان المقاومة!.. وسمى الصهاينة: «الإخوة الأعزاء.. والكبار»!..
- ودعا إلى تسيس المسيحية.. وعَلْمنة الإسلام!.. وتنصير المسلمين!..
- وحَرَّض على التدخل في الشئون الداخلية للبلاد العربية!..
- انها هجمة فاتيكانية.. وجزء من الحرب الصليبية المعلنة على الإسلام والمسلمين..
- ولكشف هذه الأكاذيب.. وإنعاش الذاكرة بحقائق العصر والتاريخ.. وتبصير المسيحيين العرب بانتمائهم الحضاري.. يصدر هذا الكتاب